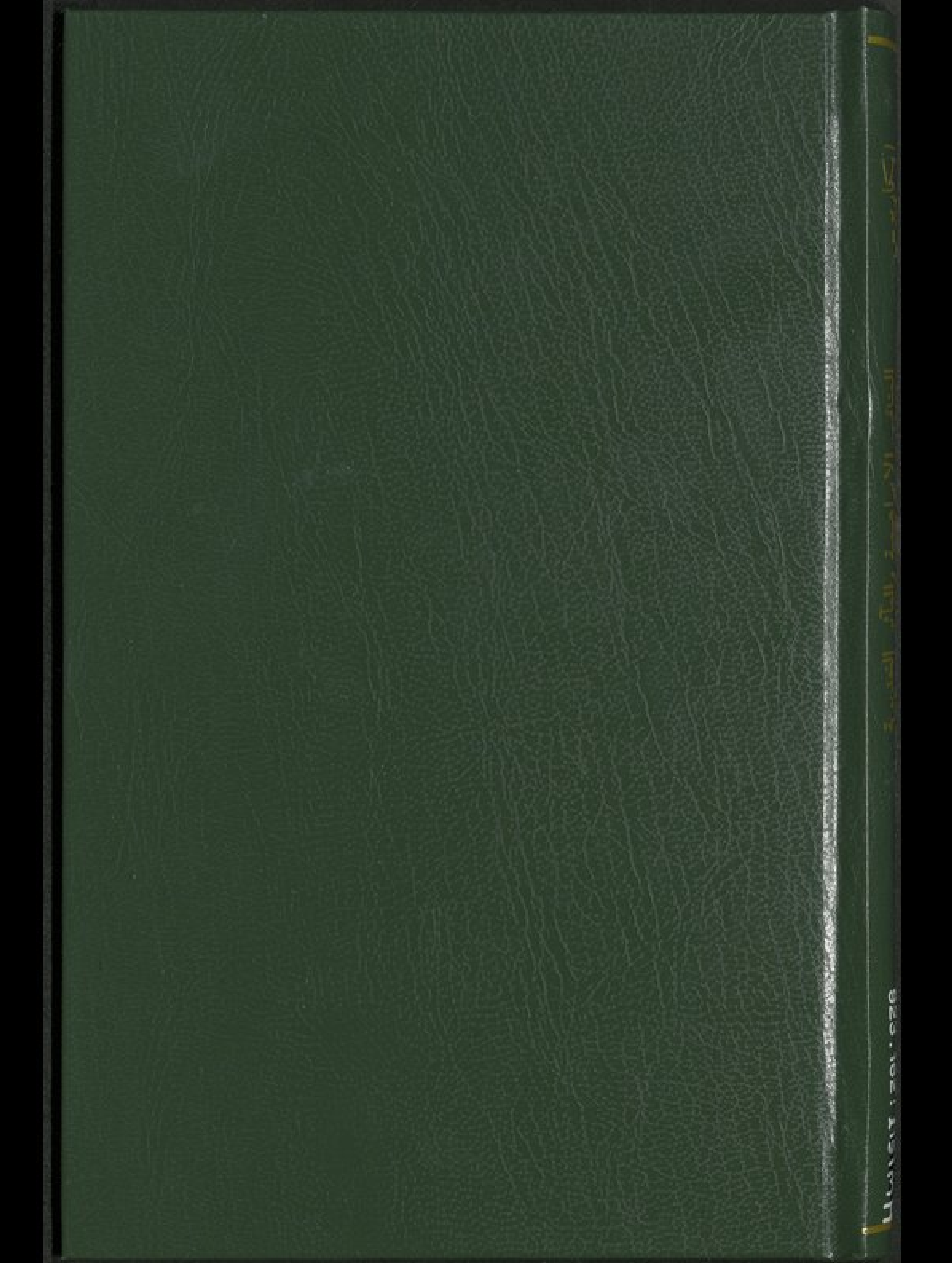



AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
UNIVERSITY
LIBRARY



# المناقب الابراهيمية
# والمآثر الخديويه

تاليف عزتلو اسكندر بك ابكاريوس

بمعاونة جناب الهمام الماجد من اتصف
بالمكارم والمحامد عزتلو محمد افندي
مكاوي المحترم عفى الله عنهما
وادام لهما العز والنعم

طبع على نفقة محمد

* وفي آخره لوعة الشاكي ودمعة الباكي للعلامة *
* الهمام المؤلف الشيخ صلاح الدين *
* خليل ابن ايبك الصفدي *
* رحمه الله ونفع به امين *



محل مبيعه : في محل عبد الغفار الجمالي بحمص

طبع في مطبعة حمص سنة ١٩١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي احيا ذكر الاولين باقلام المؤرخين وجعل سيد الملوك والسلاطين تذكرة للمتاخرين على مدى الايام والسنين والصلاة والسلام على الانبياء والمرسلين وبعد فيقول العبد الضعيف صاحب هذا التاليف انه اذ كانت الحوادث المصريه المتعلقة بالعائلة المحمدية العلويه في بر مصر واقطار سوريه لم تجتمع قبل الان في كتاب ولا ديوان حتى ولا في تاريخ مصر الذي الفه الجبرتي واشتهر في هذا العصر جردت نفسي لالتقاط اخبارها وجمعت من محاسنها ونوادر آثارها كل ما راق وطاب واودعتها هذا الكتاب واضفت اليه وقائع المرحوم المبرور صاحب الفضل المشهور والصيت الحميد المشكور البطل الهمام وعلم الاعلام الرفيع المقام وزينة الليالي والايام من ذلت لديه ليوث الاجام وخضعت له فرسان المعارك والصدام ابراهيم باشا فخر الانام وسائر وقائعه في بر الترك وقطر الشام وما رات الناس منه من البطش والاقدام والحلم وعدالة الاحكام

والحكمة والسياسه والنباهة والفراسه والمهابة والكرامه والعفة والاستقامه والرقة والوداعة والفصاحة والبراعه والجود والكرم وعلو الهمم ولطافة الذات ومحاسن الصفات الى غير ذلك مما يستحق الاعتبار وتتزين به صدور الاسفار فجاء بحمده تعالى كتاباً جليلاً وتاريخاً مفيداً جميلاً يلتذ بمطالعته القاري والسامع ويأخذ بمجامع القلوب والمسامع نظراً الى ما تضمنه من لطائف الاخبار وما حواه من براعة السجع ومحاسن الاشعار ولما تم واكمل على طبق الامل سميته المناقب الابراهيميه والمآثر الخديويه وقسمته الى عدة ابواب ضمنتها فحوى الكتاب وكان ذلك بمعاونة جناب الاديب البارع والبدر المنير الساطع من بهى وافتخر وشاع فضله واشتهر فريد العصر والمحمول بالسنة اهل مصر اعني به الفاضل اللوذعي والكامل الالمعي معدن الجود والكرم ورب السيف والقلم عزتلو محمد افندي مكاري المحترم فانه اعانني في وضعه وترتيبه وبذل الجهد البليغ في تنقيحه وتهذيبه حفظه الاله المتعال بمزيد العز والاقبال على مدى الايام والاجيال

الباب الاول

في اوصاف صاحب الهمة العليه والمآثر الباهرة السنيه محمد علي باشا وولايته على الديار المصريه

الباب الثاني

في وصف نجله الكريم سمي الخليل ابراهيم

الباب السادس عشر

في ولاية حضرة عباس باشا وهو الخديو الثالث وذكر ما جرى في ايامه من الوقائع والحوادث

الباب السابع عشر

ذكر ولاية حضرة محمد سعيد باشا الخديو الرابع وما اجراه في الديار المصريه من الاصلاحات ذات الفوائد والمنافع

الباب الثامن عشر

ذكر ولاية حضرة اسماعيل باشا العظيم الشان نجل المرحوم المبرور ابراهيم باشا ساكن الجنان

الباب التاسع عشر

ذكر ولاية حضرة مولى الموالي وصاحب القدر العالي محمد توفيق باشا الخديو الحالي اطال الله ايامه بالعز والاقبال على مدى الدهور والاجيال

الباب العشرون

ذكر الامراء المصريه ارباب المناصب السنيه · اقول وهذه الابواب هي خلاصة مضمون هذا الكتاب وقد ذكرت فيها اهم الحوادث المتعلقة بكل باب

الباب الاول

في اوصاف صاحب الهمة العليه والماثر الباهرة السنيه محمد

علي باشا وولايته على الديار المصريه

وكانت الديار المصرية في زمن المماليك البحرية وهي الحكومة الكوملانية عديمة الانتظـام من جور الولاة والحكام الذين استولوا على البلاد واضروا بالعباد فاندثرت مباني علومهـا واندرست معالم رسومها من كثرة المظالم والضرائب والمغارم التي لا يستوفيهـا قلم كاتب ولا يحصيها رقم حاسب ما زالت في انحطاط واختلال الى ان خرجت من تلك الحال وبلغت الى اعلى درجة من التمدن والكمال في ايام حضرة الخديو المعظم والداودي المكرم المفخم انموذج الفخر والجاه محمد علي باشا طـاب ثراه الذي لم يوجد الزمان مثله ولم يحاك احد فضله

عزيز سما في مجده وصفاته    له فوق هام الفرقدين منازل
به تفخر الايام والمجد والعلا    وكل مديح لم يكن فيه باطل

وكان مولد هذا البطل الهمام والليث الباسل الضرغام بمدينة قوله من بلاد الارناوط وهي مدينة شهيرة في تلك الحدود والخطوط وذلك سنة الف ومائـة وثلاث وثمانين هجريه الموافق سنة الف وسبعماية وتسع وستين مسيحيه ومات ابوه وهو صغير فتوكل به احد الذوات المشاهير وكان بينه وبين ابيه محبة ومودة قديمـة وصحبة فاعتنى به ورباه واحسن اليـه وداراه وكان عنده كالولد المحبوب واعز من يوسف عند يعقوب فنشأ شاباً نجيباً حازماً اديباً شجاعـاً

مهيباً لا يقدر العواقب ولا يخشى حلول النوائب وكان يصاحب الابطال ويلقي نفسه في الاخطار والاهوال املاً بالارتقاء وبلوغ الآمال ولقد اجاد من قال

بقدر الجد تكتسب المعالي ومن طلب العلى سهر الليالي

ومن طلب العلى من غير جد اضاع العمر في طلب المحال

وما زال على تلك الحال ونجمه في سعود واقبال حتى تغلبت الفرنساوية على الديار المصرية سنة ١٧٩٨ مسيحية في زمن حضرة ساكن الجنان السلطان سليم خان فلما اخذوا بزمامها واستقلوا بتدبير احكامها ارسل السلطان سليم الاوامر والمراسيم الى ولاة الاقاليم يحثهم بالنهوض والقيام والمبادرة لقتال الاخصام ونودي بالنفير العام في بلاد الاسلام فهاجت الشبان في كل جهة ومكان واجتمع في قطر الشام لهذا القصد والمرام عالم لا يحصى ولا يرام غيرةً لنصر الدين وطرد عساكر الفرنساوين فقصدوا مصر القاهرة امتثالاً للاوامر الصادرة وكانت الدولة الانكليزية قد اتحدت مع الدولة العثمانية لمحاربة الجيوش الفرنساوية واخراجهم من الديار المصرية بالقوة الجبرية وارسلت عمارة بحرية الى بوغاز الاسكندرية مشحونة بالعساكر والمهمات الحربية فكتب حضرة السلطان الى ولاة اسا كل عربستان يعلمهم بذلك الاتحاد ويحرضهم على الحرب والجهاد وانه مهما مر عليهم من قباطين الانكليز الراسين بالمراكب على الثغور والبواغيز يقدمون

لهم الاكرام ومزيد الوقار والاحترام وهذا مضمون الكتاب الصادر المورخ في ٩ جمادى الاخر سنة ٢١٣ بعد الالف

انه لا يخفى عليكم ان الجيوش الفرنساويه قد هجموا عَلَى الديار المصرية ودخلوا مصر القاهرة وما يليها واستولوا عَلَى يافا وغزة والرملة ونواحيها ومرادهم ان يبيدوا امة الاسلام ويتغلبوا عَلَى المملكة بالتمام والان حضرة المحب المعظم سلطان الانكليز المفخم المتحد معنا باخلاص الطويه عَلَى قتال الطائفة الفرنساوية لفرط محبته ووفور مودته قد تكرم وجاد وقضى حق الوداد وسير من لدن حضرته الملوكيه عمارة انكليزية مع العمارة العثمانية تحت لواء افتخار الامراء الكرام في الطائفة المسيحية وعظيم الكبرأ الفخام في الامة العيسوية جناب محبنا المحترم السيروليم سدني سميث الاكرم وقد فوضناه التفويض التام لاجل هذا القصد والمرام ليدبر امور تلك الديار بحسن السياسة والاختبار فليعلم كل منكم تفويض محبته من لدنا في سائر الاقطار ومهما مر عليكم من مراكبه واتباعه فقدموا لهم مزيد الاعتبار والاكرام والوقار وليكن معلوم الخاص والعام صداقته مع الاسلام واتحاده معهم عَلَى حرب الفرنساويه الاخصام اعلموا ذلك واعتمدوه غاية الاعتماد والسلام

وكان محمد علي صاحب الجاش القوي قد نهض نهضة الاسد واتحد مع شجعان ذلك البلد وانضموا مع ذلك الجيش العرمرم

وساروا الى مصر بمعية الصدر الاعظم فحارب في تلك الوقائع واشتهر
بالشجاعة في هاتيك المعامع وامتاز عَلَى الاقران وانتظم في سلك
الفرسان وفي مدة قصيرة وايام يسيره انتشر ذكره وشاع امره
وصار ذا كلمة نافذه عند الاعيان والجهابذه واكابر الاشراف والاساتذه
واستمرت الحروب بين الفرنساوية والدولة العثمانية والانكليزية مدة
مديده وجرى بينهم وقائع عديدة الى ان آل الامر الى خروج
الفرنساوية من مصر تحت شروط معلومة وروابط مفهومة وكان
الصدر الاعظم قد انعم وجاد قبل رحيله من تلك البلاد عَلَى
محمد خسرو باشا بولاية الديار المصرية وامره ان يرفق بالرعية
وجعل مركزه في القلعة السلطانية حسب الايام السالفة بدون
مناقضة ولا مخالفة ومازال محمد علي يتقدم في المراتب و يرتقي
في الوظائف والمناصب حتى صار في رتبة عليه ومنزلة رفيعة
سنية وكان قد صمم العزم واخذ بالسداد والحزم عَلَى ان يمد باعه
للقبض عَلَى زمام الملك وينظم الاحكام عَلَى احسن سلك فأخذ
ينفق الاموال عَلَى الفرسان والابطال ويستجلب خواطر الناس اهل
الشوكة والباس ويستميلهم اليه باللطف والايناس حتى استعبدهم
بطيب الخلق وحسن السريره واللين والرفق فكانوا يحبونه ويكرمونه
ويميلون اليه ويحترمونه ويتمنون له النجاح وبلوغ الارب والارتقا الى
اعَلَى درجات الرتب وكانت شوكة مماليك الغز قد انكسرت بعد

ذلك الاقتدار والعز لانهم كانوا في سالف العصر قبل دخول
الفرنساوية الى مصر اصحاب النهي والامر وبايديهم مقاليد الامور
ونظام الجمهور ومحافظة الحدود والثغور وكانت الناس تهابهم مهابة
عظيمة نظراً لشوكتهم القويه وسطوتهم الجسيمه لاسيما في زمن
اميرهم الشهير المدعو علي بك الكبير فانه كان قد اظهر العصيان
وخلع طاعة السلطان وضرب باسمه السكه ونفى وزير الدولة الى
مكة وتسلم زمام القلعة والبس الوجاقات السبعة واستبد بتدبير
الاحكام واطاعه الخاص والعام وصفا له الوقت وراق وانتشر صيته
في الافاق وحدثته نفسه ان يسطو عَلَى الشام والعراق ويعيد الى
مصر دار السلطنه كما كانت في سالف الازمنه وكان له مزيد الفخر
والاعتبار في تلك الديار حتى كان يخطب له يوم الجمعه عَلَى المنابر
ولم يكن للدولة من حكم مصر في ايامه الا مجرد الاسم الظاهر ولما
صفت للدولة العلية احكام الديار المصريه بعد رحيل الفرنساويه
صدر امرها العالي الى محمد خسرو باشا الوالي ان يبادر في الحال
بالجنود والابطال الى قتال المماليك المذكورين والفجرة المعتدين
ويضع السيف فيهم ويلاشيهم عن بكرة ابيهم حتي تنطفي اخبارهم
وتمحي آثارهم وكان بينهم قائدان وهما من اكابر الاعيان قد
اتصفا بالشجاعة وقوة الجنان احدهما يدعى عثمان بك البرديسي
والاخر محمد بك الالفى فلما اتصل بهما هذا الخبر وكان قد شاع

واشتهر اخذا في الاستعداد للمدافعة والجلاد فجمعا الاحلاف والاحزاب وانحاز اليهما الاعوان والاصحاب حتى صارا في جم غفير وعدد كثير ونهضا لمقاومة الوزير وكان الباشا قد جهز لقتالهما جيشاً عرمرماً وقدم عليه قائداً جليلاً معظماً فاستظهرا عليه وكسراه وهزما جيشه وفرقاه وكان محمد علي الاسد الغضنفر من جملة ضباط العسكر تحت رياسة القائد الاكبر فاستشاط القائد حنقاً وغضباً واتهم محمد علي بانه كان لتلك الكسرة سبباً ثم وقعت بينهما المنافره وادت الى الخصام والمشاجره وكان ذلك القائد يعهد منه الطمع في الاستيلاء على تخت القاهره فاجتمع بالوالي في بعض الليالي وعند امكان الفرصه قص عليه تلك القصه قائلاً ان فلاناً قد اتخذ له احزاباً واعوانا وهو كل يوم في همة وحركه وقصده استخلاص المملكه وما زال يقدح في حقه بزناد شتمه ويمزق ستر حرمته بمخالب ذمه حتى اوغر صدره عليه واستدعاه ليلاً اليه وكان قد صمم النيه على ان يلقيه في اشراك المنيه وبلغ محمد علي الخبر فاخذ لنفسه الحذر وحاول تلك الليلة ولم يحضر وفي اليوم الثاني لم يمكنه التواني فنهض بالعجل خوفاً من حلول الاجل وانحاز اليه كل شجاع وبطل وانضم الى جماعة المماليك البحريه واتحد مع عثمان بك وعصبته القويه وجاهر الوالي بالعصيان واستعان بمن تعصب معه من الشجعان فبادر الباشا لقتاله بجنوده ورجاله فتلقاه محمد علي

بابطاله واسوده واشباله فاعانه الله ونصره وقبض عليه واسره وكسر
جيشه وعسكره وكانت هذه الكسرة والنصره في سنة الف ومائتين
وثماني عشرة من سنى الهجره ولما بلغت هذه الحوادث مسامع
السلطان سليم الثالث عظم عليه ذلك الامر وارسل علي باشا
الجزائري الى مصر ليجلس مكان محمد خسرو باشا وليقبض عَلَى
العصاة ويتصرف بقصاصهم كيفما شاء وعند وصوله الى هناك اخذ
يحتال عَلَى المماليك والارنوط ليلقيهم في شرك الهلاك فخلعوا
طاعته وخذلوه ثم حاربوه وقتلوه وبعد ذلك بايام وقع النزاع بين
محمد بك الالفي وعثمان بك البرديسي رغبة في السياسه وطمعاً
بنوال الرياسة فعادى بعضهم بعضاً وازدادا حسداً وبغضاً وكان
لعسكر الارنوط مال مكسور عند عثمان بك المذكور منذ ثمانية
شهور فلما راوا ضعف حاله وقلة انصاره ورجاله طالبوه بالرواتب
والجوامك وشددوا عليه في ذلك باتفاق محمد علي ليث المعارك
واذ لم يكن له قدرة على مقاومتهم ولا طاقة في دفع مصادمتهم
اضطره الحال ان يوزع المال على اكابر البلاد ليرضي العسكر
والقواد فلم يجيبوه الى طلبه ولم يكترث احد به ولما خاب امله
وضاقت حيله انحصر في داره في جماعة من انفاره فوفدت عليه
العساكر والاغوات واحاطوا بقصره من جميع الجهات في طلب
الرواتب والنفقات وكذلك فعلوا بغيره من البكوات واكابر المماليك

ارباب الولايات وبقي عثمان بك في منزله بضعة ايام وهم يترددون اليه بالتهديد وطلب الانتقام الى ان ساعدتـه الفرص ففر من بين ايديهم كما يفر العصفور من القفص وقصد بلاد الصعيد وانكسر عزمه الشديد واذ كان محمد علي قد حصل عَلَى صداقة العلماء ومحبة الاهالي ارتقى بهذه الواسطة الى ان يكون هو الوالي وفي اثناء ذلك اجتمعت الاكابر العمد واقاموا محمد علي قائم مقاماً عَلَى البلد وارسلوا محمد خسرو باشا الى القسطنطينية وولوا مكانه رشيد باشا محافظ الاسكندريه ولقبوه نائب الحضرة السلطانية عَلَى الديار المصريه ولم يمض الا زمن يسير بعد هذه الحركة حتى توفي عثمان بك ومحمد بك وصفت لمحمد على ولاية المملكة ولما بلغ مسامع حضرة السلطان هذا الخبر اخذه القلق والضجر وازداد به الغم والكدر وامر مصطفى باشا باش قبطان ان يسير الى مصر من غير توان ويدارك بحسن التدبير والاهتمام ما اختل هناك من النظام واصحبه بفرمان الى محمد علي باشا العظيم الشان يامره بالتوجه الى ولاية سالونيك وان يصير تسليم مصر الى اكابر المماليك بشرط ان يدفعوا في كل سنة خمسة آلاف كيس الى خزينة السلطنه فاجاب وامتثل وسار عَلَى عجل بجنود كافيه وسفن حربية وافيه وعند وصوله الى مصر شرع في ذلك الامر فلم تقبل ذلك اكابر البلاد ورؤساء العساكر والقواد وتوجه منهم العلماء والاعيان واكابر العمد والاركان

وقصدوا ذلك الوزير المشار اليه فدخلوا وسلموا عليه ومثلوا بين
يديه فالتقاهم بالبشاشة والترحاب وآنسهم بالحديث والخطاب وجاراهم
بالسوءآل والجواب فقالوا له بصدق لسان اننا عبيد الله ورعايا
السلطان ومهما برزت الاوامر الشريفه والمراسيم الساميه المنيفه نتلقاه
بالقبول والامتثال ونسلك بموجبه في الحال الا في هذا الامر
الفظيع فانا لا نسمع ولا نطيع لانه كما لا يخفى على معاليك ان
جماعة المماليك هم مصدر الظلم والفساد في هذه البلاد وقد اهلكوا
بجورهم العباد فلا يوجد بينهم من يصلح للرياسه ولا من يعتمد
عليه في الاحكام والسياسه ثم اخذوا يثنون على محمد علي ويطنبون
ويصفونه بالفضائل وحسن الشمائل وانهم لا يقبلون والياً غيره
على الاطلاق نظرا لما فيه من اللياقة والاستحقاق وعلو الهمم ومكارم
الاخلاق فلما رأى شدة ميلهم اليه واعتمادهم دون غيره عليه اجابهم
الى مطلوبهم ولبى دعوتهم كمرغوبهم وانهى فيه الى الباب
العالي حسب التماس الاهالي فصدرت الاوامر السنيه والارادة
السلطانيه من ديوان القسطنطينيه بتقريره على ولاية الديار المصريه
وذلك سنة الف ومايتين وتسع عشرة هجريه ولما تمكنت دولته
وامتدت صولته واستقرت له الولايه وبلغ القصد والغايه بهدم دولة
المماليك لراحة العباد وسعى في اصلاح البلاد بعد ذلك الفساد
فمهد ثغورها وامصارها وامن سبلها واقطارها وابطل ما كان فيها

من المظالم وقمع شوكة كل باغ وظالم واصلح الاحكام والقضايا وجعل التسوية بين الرعايا ورتب فيها التعليمات العسكرية وبنى الترسخانات البحرية والسفن الحربية واسس فيها المدارس والمطابع وجدد ما كان مندرساً من الفنون والصنائع وصيرها وطن الآداب والمعارف وكعبة يجبى اليها نفائس التحف واللطايف فابتهجت بطلعته اقطار البلاد وقرت به اعين العباد

فقرت به عين الانام مسرة وكل غدا يبدي الثناء له جهرا
فذا رافع كفاً وذا باسط يداً وذا ناشر حمداً وذا ساجد شكرا

وبالحقيقة ان هذا العزيز يستحق ان تسطر مناقبه بالذهب الابريز لتخليد ذكره في تلك الديار على طول الدهور والاعصار حسبما جرت عادة الملوك الكبار اصحاب الشوكة والاقتدار الذين طار صيتهم في الاقطار وفتحوا المدن والامصار لانه لم يكن دون الاسكندر الكبير او سيزوستريس الشهير في الشرف والفخار ورفعة المقام والاعتبار ولا في الفضائل وكثرة الاثار لان هذين الملكين والسلطانين العظيمين تقلدا زمام السلطنة وحصلا على مزيد الفخر في تلك الازمنه بدون ادنى تعب ولا مشقة ولا نصب وانما كان ذلك الشرف يتناوله الخلف عن السلف واما حضرة ساكن الجنان محمد علي باشا العظيم الشان فانه تبوء اسرة هذا المقام بما كان عنده من الحزم والاقدام وصدق النظر في سياسة الاحكام

وقد ظهر مما تقدم فضل هذا الاسد الغشمشم الذي عاد به للدولة المصرية شبابها بعد ان كانت قد هرمت وهوت قبابها واخرجها من ذلك الظلام ومتعها بالامن والسلام ورتب احكامها عَلَى احسن هيئة واكمل نظام وجعلها من اشهر ممالك الدول كما كانت في زمن الفراعنة الاول

هكذا هكذا والا فلا لا ... من تسامى بجده واستطالا
ملك جل في الفخار فامسى ... للسلاطين قدوة ومثالا
آصفيّ علا عَلَى كل عال ... بفعال تستغرق الاقوالا
قد دعوه العلي فخراً فقلنا ... صدقوا ان شأنه قد تعالى
ودعوه محمداً وعليه الحمـ ... ـد من كل امة قد توالى
عرفت مصر فضله فهي تثني ... كل يوم عليه ماالدهر طالا

وكان محباً للعلماء والنبلاء يعز الادباء والفضلاء يصغي الى كلامهم ويبالغ في احترامهم مغرماً بمطالعة اخبار الاولين وسير الملوك والسلاطين وكان قوي الذكاء والمخيلة اذا عرضت له دعوى او مسئلة لا ينساها ابداً ولو طال عليها المدى فتح اليمن وبلاد السودان واستولى عَلَى عربستان وحارب عبدالله باشا والي عكا وكسره وقبض عليه واسره عن يد الاسد الكرار والبطل المغوار الذي افتتح المدن والامصار وخضع له كل صنديد وجبار صاحب الهمة العلية والصولة الحيدرية حضرة نجله الكريم سمي الخليل ابراهيم كما سيأتي

بيان ذلك في مكانه وكان مع عظمته وعلو شأنه لطيف الذات
ظريف الصفات متصفاً بمكارم الاخلاق وعلو الهمة ومعاملة الكبير
والصغير بالمكارم والرحمه لا يميز بين الغني والصعلوك ولا يحابى المالك
علَى المملوك ومن اخباره اللطيفة ونوادره الغريبة الظريفة انه مر
في بعض الاحيان بصبيان يلعبون في بستان فلما راهم وقف ينظر اليهم
ويتفرج عليهم فبينما هم يلعبون بعضهم مع بعض اذ وقع طربوش
احدهم علَى الارض وكان الطربوش رثيثاً حقيراً لان الولد كان
مسكيناً فقيراً فاقتحم الصبي ليتناوله فالتقطه محمد علي بمجن كان
في يده وتناوله وقابل الاولاد بوجه بشوش وقال من يشتري
هذا الطربوش فاقبل الغلمان اليه وجعلوا يتزايدون عليه فقال الغلام
لا ابيعه الا بمائة دينار ولا انقصه شيئاً عن هذا المقدار فالتفت الى الولد
وقال يا للعجب من هذا الطلب فقال يا صاحب المنة الجسيمة والمنزلة
الرفيعة العظيمة ان الطربوش الذي يكون دلاله محمد علي باشا لا
يكون باقل من هذه القيمة فعجب من خطابه وسرعة بديهته في
جوابه وقال استعن بها علَى ما تختار ومما قيل من هذا القبيل
ان رجلاً من اهل البصرة يقال له الدرويش امينى وقف امامه
مرة فامر له بالف من الفضة يستعين بها علَى شأنه فاخذها ومضى
وهو مستخف باحسانه ثم عاد في اليوم الثاني اليه ووقف بين
يديه فامر له بمثل ذلك القدر فاخذه وشكر ثم عاد في اليوم الثالث

فضجر منه واعرض بوجهه عنه فقال الدرويش اطال الله بقاك ورفع مجدك وسناك انني رجل فقير ضعيف الحال حقير قد قصدت جنابك ويممت بابك طمعاً باحسانك ونوالك وجزيل كرمك وافضالك لعلمي بانك كهف الفقراء وملاذ الغرباء ومحط الرحال وغيث النوال وكعبة الامال وقد ضجرت مني وانتهرتني واعرضت وجهك عني واحتقرتني لانك اعطيتني خمسين غرشاً في ترددي عليك نوبتين فاجعلني مكانك وتردد علي في الساعة مرتين وانا اعطيك كل مرة الف غرش يتبعها بعض امتعة من نفائس اللبس والفرش فتبسم ضاحكاً من هذا الكلام وامر له بثلاثة آلاف غرش عَلى التمام فتوجه منشرح البال منبسط الآمال وهو يدعو له بطول العمر والبقاء ودوام العز والارتقاء وبالجملة والتفصيل فانه كان من افراد هذا الجيل ليس له شبيه ولا مثيل اقام معامل كبيرة وابنية شهيرة وجوامع كثيرة منها جامع تربته الذي انشأه بالقلعة واتقنه باحسن انواع الصنعة وهو اشهر من ان يذكر يفوق أيا صوفيا بحسن المنظر قد حلاه باعظم انواع الزين من نفائس الانسجة والذخائر الثمينة التي تدهش عقول المتفرجين وتذهل عيون الناظرين واقام له منارتين عظيمتين في الجو شاهقتين ورصع ارضه بالمرمر من الابيض والاحمر ووضع فيه الساعة الفاخره التي يسمع دقها اكثر اهل القاهره بنى مساجد القطر وجددها ورتب لها

اوقافاً وحددها وجعل لكل جامع قدراً معلوماً من الاطيان مخلداً
عَلَى طول الزمان معفواً من الاموال والعشور فيا له من عمل محمود
مشكور وابتنى في الحرمين التكايا للصدقات ورتب لها ما يلزم من
النفقات ومحا اثار الكولمان اهل البغي والعدوان اباده‍م بالمكيدة
والحيله اذ جعل سفر ولده طوسون الى الحجاز وسيله فاعد لهم
وليمة فاخره داخل قلعة مصر القاهره واستدعاهم للحضور والاجتماع
عَلَى سبيل الضيافة والوداع و بعد حضورهم واجتماعهم مع حواشيهم
واتباعهم هجم عليهم العسكر واذاقهم الموت الاحمر ولم يسلم منهم
احد في ذلك اليوم سوى رستم كاشف وكان من شجعان القوم
فلما عاين البليه وعرف باطن الطويه ايقن بحلول المنيه فعمد الى
حصانه اسرع من البرق في لمعانه فركبه بالعجل وقد استقتل واقتحم
السور بقلب جسور والقى نفسه من اعلَى القلعة وعند اقترابه من
الارض وثب عن ظهر الجواد بكل خفة وسرعه فنزل سالماً وقتل
الحصان ونجا ذلك البطل بعناية الرحمن فولى وهرب خوفاً من
العطب ثم ارتحل من الديار المصريه وقصد الاستانة العليه وهو
متنكر الهيئة واللباس لا يكاد يعرفه احد من الناس ولما شاع امره
وظهر استعظمه جميع البشر وتحدثوا بقصتـــه في كل مكان لانهم
راوها من عجائب الزمان وبهذه الوسيلة اشتهر واغتنى وبلغ القصد
والمنى وارتقى الى اعلَى درجات المعالي وصار من اعيان وزراء

الباب العالي فياله من بطل عَلَى هذا العمل الذي لم يسبقه عليه انسان من صناديد الفرسان لعمري انه عنترة زمانه وفريد عصرة واوانه اقول وباندثار المماليك الفجار عاد لقطر مصر العمار بعد اندراس معالمه من سنين واعصار وصفت لمحمد علي باشا الاحكام من ذلك النهار فمدن اهل مصر ورباهم وامن ديارهم ومأواهم وساوى بين العدو والصديق وقطع دابر قطاع الطريق لا سيما اشقياء سكة شبرا التي هي الآن جنة خضراء غرس بها الاشجار والبساتين وانواع الازهار والرياحين حتى صارت نزهة للناظرين و يقصدها الناس من كل فج والسياح من عرب واتراك وافرنج قد فاقت بقصورها الاندلس في غابر الزمان وازدهت تيهاً عَلَى ابنية باريز وسائر البلدان اقام بها الدور الشاهقة المزخرفة والقصور الجميلة المستظرفة التي تضاهي بارتفاعها الابلق وتباهي عمدان والخورنق في النزاهة وحسن الرونق فكم له من محاسن ومآثر وكم بنى من جسور وقناطر منها القناطر الخيرية ذات المحاسن البهية شادها ببناء محكم الاساس يذهل عقول الناس وضبط منافذها بحديد وثيق لحفظ الماء لسقي المزروعات في زمن التحاريق وهي من اعاجيب الدنيا فل ولا تبالى كانما صفت عيونها بنظم كاللآلى صرف عليها من الفرنكات خمسة واربعون مليون وقال لسان الحال

لمثل هذا فليعمل العاملون فعجز الاواخر عن اصلاح ما بها

من الخلل وتحير فحول المهندسين في اجراء ما يوافق ذلك من العمل فيا صاح ناشدتك الرحمن ادع له بالعفو والغفران وحدث بمآثره الحسان في كل مكان وهني مدينة قوله بهذا البطل الهمام وقل لها افتخري به عَلَى جميع الانام وكن شاكراً جميله وفضله ذاكراً حلمه وعدله وكانت ايامه كالطراز المذهب تعد من ايام الهنا والطرب كثرت فيها التجارة والغنى وبلغ الناس بها غاية المنى واتسعت دائرة المعاملات بين مصر وبقية الجهات وازدحمت عليها الخلائق من المغارب والمشارق وازداد اهلها وسكانها وارتفع قدرها ومكانها وانتشر صيتها وشانها وعاد اليها شبابها القديم في ايام هذا الخديو العظيم بعد ان كانت عجوزاً عقيم ومن آثاره الفخيمة ومشروعاته العظيمة ذات المنافع الجسيمة حفر ترعة الباجورية وباسوس والشرقاويه وترعة العطف والقليوبيه ولا سيما ترعة المحمودية التي كانت تدعى بالاشرفية نسبة الى الملك الاشرف المنعوت بالفضل والظرف وكانت خليجاً صغيراً قد ارتدم وصار وجوده عَلَى تمادي الايام كالعدم فاعاده عَلَى احسن طريقة وجعله ترعة واسعة عميقة بحيث تسلك فيها السفن البخارية حاملة الركاب والبضائع التجارية وبذلك اتصلت القاهرة بالاسكندرية عَلَى اقرب طريق واسهل سبيل بعد تلك المسافة الشاقة والمدى الطويل وقد اجتمع عليها من الفعلة والخدمة اكثر من ثلاثماية الف نسمة وكان مدة حفرها نحو سنة وشهر.

واكتسب بهذا المشروع المفيد مزيد المدح والشكر ومن مساعيه الخيرية سده الترعة الفرعونية التي كانت عديمة النفع ومضرة باراضي الزرع وكان تتميم هذا العمل بعيداً عن الامل لالتزامه تحويل جانب عظيم من النيل عن مجراه العريض الطويل وبعد بذل الجهد ومقاساة التعب والكد انسدت عَلَى احسن اسلوب وحصل المطلوب طبق المرغوب جزاه الله خيراً عَلَى هذا الاحسان وجعل اسمه مخلداً على ممر الزمان

# الباب الثاني

## في وصف نجله الكريم سمي الخليل ابراهيم

ومن تمام سعده واقبال عزه ومجده ان الله تعالى رزقه اولاداً كراماً لم ترمق الالحاظ اشخاصاً تضاهيهم رفعة ومقاماً وشجاعة واقداماً وآداباً وكمالاً وسعادة واقبالاً وحسناً وجمالاً وسماحة وافضالاً وحزماً وعزماً وفهماً وحلماً ولطافة ووداعة وفصاحة وبراعة منهم ابراهيم وهو اكبرهم وطوسون وسعيد واسماعيل وحسين وحليم ومحمد علي وهو اصغرهم وكان ابراهيم اعظمهم واشهرهم واشجعهم واقدرهم ولد في مدينة قوله بعد زواج ابيه بسنتين وكان متوسط القوام ممتلىء البدن اشهل العينين مستطيل الوجه والانف يعد في الرجال بانف اجش الصوت لا يهاب الموت اذا لطم ليثاً اعدمه او هاجم موكباً فرقه وهزمه وكان مع هذا البطش والاقتدار والمنزلة العظيمة المقدار

محباً لعسكره لا يميز ذاته عنهم جاعلاً نفسه في الاسفار والحروب كواحد منهم فكانوا يخضعون له تعظيماً لمقامه واعتباراً ويذلون انفسهم قدامه طوعاً واختياراً وكان ابوه يحبه ويميل اليه ويعول في امره عليه ويقلده اعظم المهمات ومباشرة الحروب والغارات لعلمه بحزمه وشدة باسه وعزمه فما سار في امر الا فلح ولا قصد حرب قوم الا فاز ونجح

## الباب الثالث

### ﴿في مسير ابراهيم باشا بالعساكر الجهاديه لمحاربة الديار الشاميه﴾

وكان قد حدث في تلك الايام بين محمد علي باشا وبين عبدالله باشا والي عكا نفور وخصام وكان عبدالله باشا المذكور لا يركن اليه في امر من الامور عديم الوفاء منقلب الارآء لا يرعى عهداً ولا يحفظ وداً عاكفاً على الملاهي واللذات مشغوفاً بسماع الاغاني والاصوات وكان ابوه من مماليك احمد باشا الجزار يقال له علي اغا الخزندار فساعدته يد العناية حتى تمكن من الولايـة وطابت له الايام وبلغ القصد والمرام وكان دابه الاهتمام باقامة العمار وتحصين عكا بالابراج والاسوار وجمع الاموال من جميع الاقطار وكان قد استولى عليه البطش واستخفه البطر وطيب العيش حتى حاد عن الطريق المحمود وتجاوز في الاحكام الحدود واشهر العصيان على الدولة ذات الشوكة والصولة املا بالاستقلال وطمعاً في الاموال ولمـا

بلغ حضرة السلطان محمود خان ما هو عليه من الهذيان والتمرد والعصيان وارتكاب الظلم والعدوان غضب من سوء فعاله وارسل عسكراً لقتاله تحت راية البطل الهمام درويش باشا والي دمشق الشام فحاصره زمناً طويلاً واذاقه عذاباً وبيلاً ولما اشتد عليه القتال واحاطت به الاهوال وانقطع عنه الاموال من سائر البلاد صحا من غفلته واستفاق من سكرته وداخله الخوف والفزع واضطرب من الهلع وايقن انه اذا طالت عليه تلك الحاله ياخذ اسيراً لا محاله فابتدر بالعجل لاستدعا الامير بشير حاكم الجبل وكان من افراد الرجال موصوفاً بالفضل والكمال وحسن التدبير وجميل الخصال ولقد اجاد من وصفه فقال

| | |
|---|---|
| انما انت واحد غير اني | لست اعطيك منزل الآحاد |
| فبماذا يبالغون وهم لا | يبلغون الانصاف بعد الجهاد |
| لك خوف لو طارت العين في الحلم | لصارت تخاف طيب الرقاد |
| تفخر الناس بالجدود ولكن | انت فخر الآباء والاجداد |

وارسله الى الديار المصرية ليستميل له خاطر الحضرة الخديويه لاصلاح امره مع الدولة العلية وكان محمد علي باشا له وجاهة كبيره ومنزلة عند الدولة رفيعة خطيره فلبى دعوته واجاب طلبته وكتب في شانه الى القسطنطينيه واسترضى الدولة العلية عنه بموجب ارادة سنيه ورفع عنه تلك الشده بعد ما اقام في

اخصار مدة وصار له عليه حق الجميل والاحسان عَلَى مد السنين والازمان غير ان عبدالله باشا كبرت نفسه بعد ذلك عليه وجحد فضل محمد علي باشا واحسانه اليه وحصول العفو له عَلَى يديه وسلك معه سلوك اللئام الذين لا عهد لهم ولا ذمام وتكلم في حقه بما لا يليق من الكلام فلما بلغ محمد علي باشا هذا الخبر زاد به الغيظ والكدر وكاتب الى حضرة السلطان محمود خان يعلمه بهذا الشان ويلتمس من جلالته خلع عبدالله باشا من ولايته فلم يكترث بخطابه ولا اجابه عَلَى كتابه فاستعظم منه ذلك الامر ورآه من عجائب الدهر ولم يعد يمكنه الاصطبار عَلَى ذلك الذل والعار فجهز ولده اسد الآساد وسيف الجهاد ابراهيم باشا فارس ميدان الطراد ان يسير لحرب الديار الشاميه واردفه بالعمارة البحريه واصحبه بثلاثين الفاً من شجعان العسكر الذين لا يبالون بالخطر ولا يهابون الموت الاحمر

جيش يسير النصر فوق لوائه     فتخافه الاعداء قبل لقائه
جيش تذل له الرقاب وتنحني     طوعاً وتحمى تحت ظل حمائه

فسارت العساكر بالمهمات والذخائر قاصدة الديار الشاميه على طريق البريه واما القائد العام والبطل الهمام ابراهيم باشا فارس الصدام فانه نزل في العمارة البحرية مع باقي الجيوش الجهاديه وكان من جملة معاونيه عباس باشا ابن اخيه وابراهيم باشا الصغير

وغيرهما من القواد المشاهير وكانت العمارة المصريه موءلفة من ستة عشر قطعة حربيه وسبعة عشر سفينه وسقيه تحت رياسة اسد العرين وفخر الاماجد المعتبرين عثمان بك نور الدين وكان خروجه من بوغاز الاسكندريه في غرة جمادى الاولى سنة ١٢٤٧ هجريه فوصل في خمسة ايام الى حيفا احدى اساكل بر الشام وهي بلدة تبعد عن عكا ثلاث ساعات واهلها يبلغون نحو ثلاثة آلاف من النسمات ولما القت المراكب مراسيها نزل ابراهيم باشا اليها وخيم في نواحيها فتزلزلت بقدومه الديار الشاميه وارتجت من هيبته رجة قوية واما باقي الجيش والعسكر الذي سار عَلَى طريق البر الاقفر فانه كان قد واصل التسيار وجد في قطع البراري والقفار فاشرف عَلَى عكا من الجهة الجنوبيه في عشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٣١ مسيحيه وانضم الى باقي الجيوش المصريه وكان لما بلغ عبدالله باشا هذا الخبر وابصر الجيش والعسكر احاط بـه الخوف واذعر وطار من عينيه الشرر ففرق الاموال وجمع الفرسان والابطال وشرع في تحصين القلع والاسوار واستعد للقتال والحصار وارسل يستدعي من حوله من الاكابر والاعيان وكتب بخط يده الى الامير بشير حاكم لبنان يستنجده لهذا الامر ويقول له ان المشايخ بني الجرار وبني صقر وعرب السلط وبني صخر ينتظرون قدومه اليهم ليكون رئيساً عليهم وفي اثناء ذلك يذكره

بالصداقة القديمة والمحبه ويثني علَى امانته وحفظه المودة والصحبه متمثلاً بقول الشاعر

وانت الخالص الذهب المصفى  بتزكيتي ومثلي من يزكى

وكانت عكا في تلك الايام من اشهر مدن بر الشام وكرسي الولاة والحكام ذات ابراج حصينه وقلاع متينه مشحونة بالذخائر والمهمات والات القتال والجبخانات وفيها من رجال الحرب وفرسان الطعن والضرب نحو خمسة الاف مقاتل بين فارس وراجل وكان ابرهيم باشا صاحب الهمة العلية قد تقدم نحو عكا في فرقة قوية من الفرسان والطوبجيه وبنى اتراساً متينة علَى تل هناك تجاه المدينة يقال له تل الفخار ووضع عليه المدافع والقنابل الكبار وارسل الى عبد الله باشا يقول له ضمن كتاب مع رسول ان يسلم المدينه بطريقة امينة ويريح دم العباد وسلامة البلاد ويبادر الى ملتقاه ويعتذر مما جناه ويدخل تحت لواء الحضرة الخديوية ويعيش باقي ايامه في رغد ورفاهيه وعين له اجلا للحضور وتسليم الحدود والثغور ان تجاوزه ولم يخضع لامره يضرب به بالمدافع ويجعل كيده في نحره وحينئذ ياخذه اسيراً ويرسله الى مصر ذليلا حقيراً ولا يعود يفيده الندم بعد فوات الفرصة وذلة القدم فلما وقف علَى كتابه وفهم فحوى خطابه شق ذلك عليه وعظم الامر لديه وحدثه عقله السقيم بعدم الطاعة والتسليم وتصلب علَى المحاصرة والمقاومه واصر

عَلَى المدافعة والمصادمه ورفض امر الصلح والمسالمة وسعى بسوء تدبيره عَلَى خرابه وتدميره ولم يعلم ان ايامه قد مضت ومدة احكامه زالت وانقضت واستمرت بينهما المخابرة نحو عشرة ايام وعبد الله باشا يحاوله بالكلام ولا يقدر عواقب الايام وكان مستر بيتراوت قنصل دولة الانكليز في بيروت لما بلغته هذه الاخبار سار قاصداً تلك الديار واجتمع بابراهيم باشا في الخيام بعد مسيرة ثلاثة ايام واخذ يلومه بالكلام عَلَى قدومه الى بر الشام بدون رخصة سنية من الدولة العلية بقوله له ان هذا العمل لا توافق عليه بقية الدول لا سيما الدولة الانكليزية المتحدة مع الدولة العثمانية عَلَى حفظ الصداقة واخلاص الطوية فاغتاظ ابرهيم باشا منه وتأثر غير انه لم يظهر له من غيظه ما اضمر وقال له اعلم ايها الصديق الاكرم اني حضرت بالعساكر الجهاديه لاستخلاص الديار الشاميه انتقاماً من عبد الله باشا بامر الحضرة الخديوية فان كان ذلك لا يوافق دولة الانكليز فعليها ان تخاطب به جناب والدى العزيز فمتى امرني بالرجوع عدلت عن هذا المشروع والا فلا ارجع بدون ذلك ولو قامت علي جميع الممالك ثم نهض عَلَى الاثر وتوجه قاصداً العسكر ولم يلتفت الى حديث مستر ابوت وكلامه ولا اكترث بتعنيفه وملامه واستمر عَلَى ما كان قد قصد من ضرب الاسوار وهدم البلد

# الباب الرابع

## في حصار مدينة عكا وفتح اساكل عربستان واستيلاء ابرهيم باشا عَلَى جبل لبنان

فلما انقضت مدة الميعاد المعهود وفات وقت الأجل الموعود وعبد الله باشا ما زال مصراً عَلَى عدم تسليم البلد و باقي الحدود استعد ابرهيم باشا وتأهب في اليوم الرابع من شهر رجب عَلَى ضرب المدينة وهدم ابراجها الحصينة فارسل روساء الطوبجيه وقائد العمارة الحربية يأمرهم باطلاق النار عَلَى الابراج والاسوار فامتثلوا ما امر ولم تكن الالمحة البصر حتى اطلقت المدافع والقنابل عَلَى الحصون والمعاقل و كان الضرب متصلاً من الخارج والداخل كالغيث الهاطل وكان قد ارسل الى الامير بشير حاكم الجبل كتاباً يستدعي حضوره بالعجل ليقرره في مركز حكومته ويعيش في ظل نعمته فلما وقف عَلَى هذا الخطاب داخله الخوف والاحتساب وجمع اكابر لبنان ومن يعتمد عليهم من الاعيان واستشارهم في الشان فاستقر راي الجمهور عَلَى عدم التسليم والخضور خوفاً من عواقب الامور فلما ابطأ في قدومه واصر عَلَى عدم تسليمه استشاط ابرهيم باشا غضباً وتبدلت فرات حلمه لهباً وكان قد صمم النية عَلَى ان يدهمه بالعساكر النظامية ويقبض عليه جبراً ويستولي عَلَى لبنان قوة وقهراً ثم توقف وعدل عن هذا العمل لان اباه كان

اوصاه به قبل خروجه من القاهره بالعساكر الظافره نظراً
لما كان وقع له عنده من التقرب والمودة وذلك عند زيارته الديار
المصرية تمثله امام الحضرة الخديوية في طلب العفو والامان حسبما
قررناه قبل الان فكتب الى والده بمصر يعلمه بهذا الامر فلما
وقف العزيز عَلَى هذا الخبر داخله الغيظ والكدر وتأثر من مخالفة
الامير وكتب اليه كتاباً عَلَى سبيل التنبيه والتحذير يلمته عَلَى
ذلك القصور ويتهدده بسوء العاقبة ان تاخر عن الحضور فمن
جملة فحواه ومضمون ما حواه ان لم تحضر الى خدمة ولدي ابراهيم
باشا سريعاً وتكون لاوامره منقاداً مطيعا فليكن عندك يقيناً اني
ساخرب مساكنك واغرس ارضها عنباً وتمراً وقد بالغنا في النصيحة
وحذرناك باقوالنا الصحيحة فاستيقظ من رقادك واحذر عاقبة عنادك
قبل ان تهجم العساكر عليك وتاخذ ولايتك من بين يديك
فاضطرب الامير بكثيرمن هذا التهديد والتحذير واثر فيه هذا
الكلام وخاف عواقب الانتقام فصمم عَلَى التأهب والمسير لخدمة
ابراهيم باشا بدون تأخير وركب من يومه في مائة فارس من قومه
ولما اقبل على العسكر خرج الى ملتقاه امير ألاي العسكر وتبعه
بحري بك رئيس الكتبة ومصطفى اغا بربر وبعض روساً العساكر
والجنود بالموسيقى واطلاق البارود
فدخلوا به الاوردى بموكب عظيم ونزل في الخيمة المعدة له

قرب خيمـة ابراهيم وكان ابراهيم باشا حينئذ يجول بين الجيوش والقواد ويرتب الصفوف والاجناد وينشطهم عَلَى الهجوم والثبات والحرب قائمة عَلَى عكا من جميع الجهات وعند رجوعه في المساء استدعى الامير اليه فطيب قلبه وصفا خاطره عليه ولاطفه بالحديث والكلام واجلسه معـه عَلَى الطعام وشمله باللطف والاحسان وفوض اليه احكام جبل لبنان واتخذه من جملة الحواشي والاعوان وكان قد ارسل فريقاً من العساكر بالمهمات والذخائر لاستخلاص الثغور والاساكل تحت قيادة الليث الباسل والبطل الحلاحل صاحب القدر العلي حسن بك المنسطرلى فاستولى عَلَى صيدا وصور وبيروت وطرابلس وباقي الثغور وكانت العمارة الرابطة تجاه عكا قد تعطل بعضها من شدة العواصف والانواء ووقوع الكلل الكبار التي كانت تسقط عليها كالامطار من الابراج والاسوار في النهار فاقلعت بامر ابراهيم باشا الى الاسكندريـة في آخر كانون الثاني سنة ١٨٣٢ مسيحية ولما بلغ السلطان محمود خان قدوم ابراهيم باشا الى عربستان وافتتاحه المدن والبلدان استولى عليه الغيظ والغضب وكتب الى محمد باشا والي حلب يقول له من جملة الكلام اعلم ايها الوزير الهمام قد انتهى الينا في هذه الايام مجيء ابراهيم باشا بالعساكر المصرية لفتح الديار الشامية والاستيلاء عَلَى ولاياتها ومدنها وباقي ملحقاتها واستولى عَلَى اطراف البلاد وانقادت اليه العباد فلذلك قد

اصدرنا الاوامر والمراسيم بتجهيز العساكر وارسالها الى تلك الاقاليم تحت راية السردار الاكرم حسين باشا الافخم فيجب عليكم انه بوصول امرنا هذا اليكم ان تحصنوا القلاع والمعاقل وتجمعوا العساكر والجحافل وتستخلصوا منه تلك الاساكل قبل قدوم الجيوش المذكوره والعساكر المنصوره فلما وصل هذا المنشور الى الوالي المذكور شرع في تحصين البلد بالسلاح والعدد وجمع العساكر والجنود وعقد الرايات والبنود وسار الى حمص من غير توان في سبعة آلاف عنان من الارنووط والهواري والعربان وعند وصوله الى المدينة حصن قلاعها بالمدافع والابنية المتينة واقام بفرسانه فيها وعسكر في نواحيها منتظراً قدوم العساكر العثمانية ومجيء حسين باشا من القسطنطينية وارسل امامه عثمان باشا كامل في اربعة آلاف مقاتل بين فارس وراجل لقتال العساكر المصرية واستخلاص المدن البحرية فسار بهمة وحمية واستولى عَلَى اللاذقية ثم تقدم بعزم وثبات الى نواحي طرابلس وتلك الجهات فالتقاه من عساكر مصر شرذمة نحو خمسمائة نسمة وكان في مقدمتهم الاسد الوثاب الامير خليل ابن الامير بشير الشهاب وبمعيته ستمائة بطل عسكر الجبل ولما وقعت العين عَلَى العين اشتعلت نيران الحرب بين العسكرين والتقت الفرسان بالفرسان والاقران بالاقران واختلف الضراب والطعان وسالت الدماء على اديم الصحصحان واخذ حده السيف

والسنان ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى تضعضعت من عثمان الاركان فولى الادبار واستنجد بالفرار ورجع بمن معه من الفرسان والانفار الى قلعة الحصن و بلاد عكار وهو في حالة الذل والانكسار وحينما بلغ ابرهيم باشا هذا الخبر ومجيء محمد باشا الى حمص بذلك العسكر وهو اذ ذاك محاصر عكا الحصينة وقد كان ان يفتحها ويهدم اسوارها المتينة تجهز من يومه وسار في اربعة الاف فارس كرار قاصداً تلك الديار وترك عكا تحت الحصار ثم عجل في السير و ابق بمسيره الطير فادرك عثمان باشا في ارض الزراعه بقرب القصير وكان محمد باشا قد امده بالمهمات والذخائر واضاف اليه فرقة من العساكر فناوشه الحرب وبادره بالطعن والضرب فقهره وكسره وفرق جيشه وعسكره وفر عثمان باشا من ساحة المعمعة وترك الذخائر والمهمات والامتعة ولجأ الى حمص بمن سلم من جنده معه بعد ما قتل من عسكره نحو الف قتيل ومن المصريين نفر قليل ثم رجع ابرهيم باشا علَى الاثر بعد ما غلب وقهر وفاز وانتصر وغنم واسر وبلغ القصد والوطر واتى دير القمر وترك فيها الفا وخمسمائة نفر من شجعان العسكر وعاد الى عكا بعد ذلك الانتصار وشدد عليها الحصار وكان قد ارسل عباس باشا الى بعلبك في اليوم الخامس عشر من نيسان واصحبه بالايين من الفرسان ليقيم محافظاً في ذلك المكان

وكانت لأبراهيم باشا في حصار عكا مواقف غريبه ومشاهد مدهشة عجيبه تدل عَلَى شدة باسه وشجاعته وحسن تدر به في ابواب الحرب وبراعته فمن ذلك ما حدثني به بعض الاعيان في عربستان ممن كان في خدمته ومقدماً بين رجال دولته فاخرج ابراهيم باشا ذات يوم في جماعة من قواده منفرداً عن عسكره واجناده وقصد مكاناً يبعد عن المدينة نحو نصف ساعة وكنت انا من جملة الجماعه ولما انتهينا الى ذلك المكان نزل عن ظهر الحصان وجلس عَلَى الرمل متكئاً عَلَى ركبتيه فنزلنا نحن ايضاً ومثلنا وقوفاً بين يديه فانتزع النظارة وكشف المدينة وشاهد اسوارها المتينه وابراجها وقلاعها الحصينه قال صاحبي فما كان الا كلمحة بصر حتى تبدل صفونا بالكدر من وقوع الكلل الكبار التي كانت تسقط حولنا كالامطار من الابراج والاسوار نخفت من عواقب الامور ولمت نفسي عَلَى الحضور وعلمت ان الاعداء ابصرونا ووجهوا مدافعهم نحونا ليهلكونا فقلت له وقد ضاع فكري وحرت في امري اذام الله ايامك ونصر اعلامك ومكن من رقب الاعادي حسامك ان مجيئنا الى هنا كان غلطاً وجلوسنا في هذه الارض خطر عظيم وخطا فقم بنا لنذهب قبل ان يمسنا العطب لان قلبي قد انصدع من شدة الخوف والفزع فلله درك من شجاع وسبع لا يقاس بالسباع فقد عاشرت الابطال والفرسان

وسمعت باخبار صناديد الزمان فما سمعت بمثلك بين الشجعان ولكن ايها السيد الجليل لا يخفى عليك ما قيل

ليس المخاطر محموداً ولو سلما

فتبسم ضاحكاً من مقالي ولم يجبني على سوالي وكان قد امر بعض الخدم ان ياتيه بكبش مشوي من الغنم فامتثل ما امر وفعل كما ذكر وما زلت اكرر عليه الكلام واطلب منه الاذن في ذلك المقام الى ان جاء الغلام بسفرة الطعام فعند ذلك التى من يده النظاره وهو مظهر الشجاعة والجساره والتفت الي وتبسم وامرني ان اتقدم فتقدمت على عجل وانا في خوف ووجل من اصوات المدافع ووقوع الكلل واذا بكلة سقطت امامي كادت تسقيني حمامي نخفق قلبي وزاد خوفي ورعبي فنهضت من مكاني مرتعشاً حائراً مندهشاً كل ذلك وهو جالس كأنه الليث العابس غير مبال بهذه الحال ولا خطر له خوف ببال من جميع هذه الاحوال وبعد ان اكل وشرب دعا بجواده فركب وركبنا نحن ايضاً وتبعناه وانا لا اصدق بالنجاة حتى بعدنا عن العدو وصرنا في ساحة الامان والهدو فعجبت من جسارته على الاهوال والنوائب وعدم اكترائه بالاخطار والمصائب



# الباب الخامس

## في فتح مدينة عكا الحصينة وهدم ابراجها وقلاعها المتينه

وكانت الحرب عَلَى عكا قائمة والمدافع عَلَى ابراجها متصلة دائمة حتى هدم اكثر حصونها واسوارها وسقط رونق مجدها وفخارها من وقوع القلل والقنابل وهجوم الابطال والجحافل وكانت سكان البلد من الشيخ الى الولد في خوف واحتساب وقلق واضطراب من سقوط الكلل البارود فكانوا يستترون تحت العقود واستمر القتال عَلَى هذا المنوال مدة سبعة اشهر بلا انقطاع ولا فتور وكان المصريون في اثناء الحصار يحفرون حفراً تحت ارض اساسات الاسوار ويضعون فيها البارود ويضرمونها بالنار فتهدم ما فوقها من البنيان وتسحق المدافع وتقتل الفرسان ولما كان يوم الجمعه الموافق ٢٦ من ذي الحجة سنة ١٢٤٧ هجرية صمم ابراهيم باشا النية لقيام هجمة قوية لينتهي الحال وتكون واقعة الانفصال فجمع اركان حربه اليه واخبرهم بما قد عول عليه واعطاهم الاوامر والاشارات اللازمة المتعلقة بكل واحد منهم في تلك المهاجمة وعين لها اليوم الثاني من ذلك النهار وهو السابع والعشرون من ذي الحجة والثامن والعشرون من ايار ولكن لما كان هذا الدستور الاكرم لايحب سفك الدم ارسل الى عبد الله باشا قائداً من العمد يطلب اليه اخيراً ان يسلم البلد قبل ان تفوته فرصة الامان ويقع في قبضة الاسر والهوان

وانه غير منفك عن هذا الشان ولو تحزبت عليه جبابرة الارض ومردة الجان فلم يلتفت عبد الله باشا الى هذا التحذير والتنذير وعده من باب الخرف والتقصير وقال للقائد المذكور ان مدة الحصار لم تتجاوز بعد سبعة شهور والمدينة بحمد الواحد الاحد مشحونة بالسلاح والعدد وفيها من الجبخانات والذخائر والعلوفات ما يكفيها خمس سنوات فمتى جاء الوقت المعهود وفرغ الزاد والبارود وانقطع عنا الامداد والاسعاف ننظر حينئذ في انهاء هذا الخلاف فلما عاد القائد الى مولاه وبلغه جواب عبد الله تعجب من وقاحته وحار وامر باطلاق المدافع على الحصون والاسوار فاطلقت طول ذلك الليل وانصبت على البلد كعارض السيل ولما كان الصباح تأهب العسكر للهجوم والكفاح فقرعت الطبول ولمعت النصول وخفقت الرايات ونفخ النفير وانقسمت الالايات الى فرق وطوابير وسارت العساكر كالاسود الكواسر بحسب صدور الاوامر طالبة القلاع والابراج بدون خوف ولا انزعاج وفي مقدمتها هاتف السعد والاقبال ينشد قول من قال

هيا بنا هيا بنا ... للحرب نلقى ضدنا

نحن الاسود الكاسره ... نحن السيوف الباتره

من ارض مصر القاهره ... سرنا وقد نلنا المنى

هيا بنا هيا بنا ... للحرب نلقى ضدنا

نحن الجهاديون لا نخشى غباراً اذ علا
ولم نذق في البلا صدراً اذا الموت دنا
هيا بنا هيا بنا للحرب نلقى ضدنا
بارودنا شراره بشوي الوجوه ناره
وسيفنا بتاره من العدا تمكنا

ولم تكن الا ساعة من النهار حتى اشرفوا عَلَى الاسوار واندفقوا عليها كالبحار وكان اول من هجم بامر ابرهيم طابور من الالاي العاشر عَلَى برج كريم الكائن في الجهة الغربية من الاسوار الشمالية ثم اتبعه عَلَى الاثر ثلاثة طوابير اخر تحت قيادة الشجاع الشهير ابرهيم باشا الصغير وهو والد جناب حيدر باشا وخليل يكن اصحاب الخلق الجميل والصيت الحسن وانعطفوا بحملاتهم اسرع من البرق عَلَى الابراج الكائنة تجاه الشرق وكانت اكثر هذه المواضع مشحونة بكلل المدافع واما اسد الاساد وسيف الجهاد وقائد القواد فكان سائراً على اثر العساكر وبمعيته طابوران من الالاى الخامس والعاشر وكان يجول عَلَى ظهر جواده بين الصفوف وفرسانه واجناده تموج وهو يشجعهم بالكلام وينشطهم عَلَى الهجوم والاقتحام ويعدهم بالمكافات والانعام فلله درهم من فرسان وابطال ما اشدهم في الحرب والقتال واثبتهم في ميدان النزال عَلَى المخاطر والاهوال وكان الرصاص يتناثر عليهم كالبرد من الابراج ومتاريس البلد وهم ثابتون ثبات الجبابره

او الاسود الكاسره غير مبالين بالخطر طمعا بالنصر والظفر وبلوغ القصد والوطر بل كانوا يهجمون عَلَى الاسوار والحصون بهمم وعزائم امضى من الصوارم و ينصبون عليها السلالم و يتسلقون فوقها كالضراغم وهذا ولم ينتصف النهار حتى تمكنوا بالقوة والاقتدار على اكثر الحصون والاسوار ونشروا عليها بيارق الانتصار فاستولى الطابور الثاني على المراكز والمباني التي في الناحية الشرقية المتصلة باطراف الاسوار الشمالية واستولى الطابور السادس من الالاي الخامس على جميع الصوايح التي في جهة النبي صالح وهكذا استولى الالاي الاحتياطي على المتاريس الواقعة بقرب الشاطى فلما راى عبد الله باشا ذلك الهول العظيم والخطب الجسيم ندم على عدم الطاعة والتسليم وعلم ان نجمه قد سقط وعقد عزه انحل وانفرط وانه عما قريب يوءخذ اسيرا ويقاد امام عدوه ذليلاً حقيراً بعد ان كان والياً ومشيراً ولكنه اظهر الصبر والجلد وسار بالعسكر الى خارج البلد بقصد المدافعة والممانعة وسد الهجمات المتتابعة فخاض ساحة المعركة وجرت بينهم وقعة مهلكة قتل فيها من قواد المصريين وابطالها المشهورين الشجاع المقدام اسماعيل بك القائم مقام وبموت هذا الاسد الغضنفر ارتد جيش المصريين وتاخر وضعفت عزيمته وتقهقر فلما راى ابراهيم باشا ان العسكر قد امسى في ارتباك وخطر خشي من الهزيمة والانكسار بعد ذلك الفوز والاستظهار فتقدم

نحو جنوده بحرسه وهو راكب على ظهر فرسه وجعل يحرضهم عَلَى
الثبات والجهاد ويحثهم عَلَى الصبر والجلاد ويقول هذا يوم الافتخار
هذا يوم بلوغ الاوطار فكانوا تارة يتقدمون وتارة يتاخرون فعند
ذلك استل سيفه من غمده وانعطف بالحملة امام جنده واقتحم
مواكب الاعداء كانه اسد البيداء فشق الصفوف والكتائب
واظهر بشجاعته العجائب فتشجعت عزيمة العسكر بهيبة هذا الهمام
الظافر والحسام الباتر وداخلتهم الحماسة والفتوه وكروا عَلَى اعدائهم
بنشاط وقوة فسدوا عليهم الطرق والمضائق والهجوم بضرب
السيوف والبنادق فازاحوهم الى ما وراء الخنادق ثم قويت عزيمة
المحصورين وانعطفوا بالجملة عَلَى المحاصرين وحينئذ اختلطت الرجال
بالرجال والابطال بالابطال والتحم القتال واتسع المجال وعظمت
الاهوال وجرى الدم وسال وتمكنت الصوارم في الرقاب والجماجم
والحراب والخناجر في الصدور والخواصر وكان يوماً من اعظم
الايام وساعة يشيب من هولها رأس الغلام لان الدماء كانت
تسيل كالمطر والجثث تتساقط عَلَى الارض كاوراق الشجر والسهول
والتلال تهتز من ضجيج الرجال واصوات المدافع التي تزعزع الجبال
حتى خيل للنظار في ذلك النهار ان الساعة اقتربت والارض
ارتجت واضطربت والسماء غابت واحتجبت والمدينة احترقت
وانقلبت ولقد احسن المقال وصدق من وصف عكا في ذلك اليوم

وقـال

قد قيل ان جهنماً تحت الثرى　　ما لي اراها فوق عكة تضرم

لولم تكن دار الشقاوة عكة　　مـا اضرمتها بالشرار جهنم

واستمرت تلك المعاركه والمهاجمة المتداركه من الصباح الى بعد العصر حتى هبت ريح النصر وكانت قد كلت جموع عبدالله باشا وانحل عزم نشاطها وتلاشى وعجزت عن حماية البلد ولم يعد لها ادنى ثبات ولا جلد فالقوا سلاحهم وسلموا ارواحهم خوفاً من حلول البوار ونزول الدمار وطلبوا لانفسهم الامان واختاروا الاسر والهوان وانصبت العساكر المصرية كالسباع واندفعوا عَلَى البلد اشد اندفاع بقلوب لا تخشى الموت ولا ترتاع وتسلموا باقي الابراج والقلاع واستولوا عَلَى مدينة عكا عنوة وقهراً بعد حصار سبعة اشهر براً وبحراً وتسلم ابراهيم باشا زمام تدبيرها وقبض عَلَى عبدالله باشا وزيرها والقاه تحت الحفظ والترسيم بعد ما وبخه عَلَى فعله الذميم وسلوكه الغير المستقيم وفي اليوم الثاني وهو يوم الاحد نزل في قصر البهجة خارج البلد وهو احد القصور المختص بعبدالله باشا المذكور ولما استقر في ذلك المكان خرج اليه الاكابر والاعيان وطلبوا منه الامان فاجابهم الى ذلك الشان وعاملهم باللطف والاحسان ثم امر بكتابة الاوامر والمراسيم الى ولاة المدن والاقاليم يعلمهم بذلك الفتح والنصر وانه استولى عَلَى عكا بالقوة والقهر

فكتبت في الحين وارسلت الى الولاة والمحافظين وهذه صورتها

بعد السلام عليكم المنهي ان نهار امس عند طلوع الشمس زحفت عساكرنا المصرية الظافره بالقوة والسطوة القاهره واندفعوا عَلَى مدينة عكا اندفاع الاسود الكاسره وبادروها بالمهاجمة واقتحموها بالمصادمة والمقاومة الى ان فتحوها بقوة الحرب والنار الدائمة وصعدوا اسوارها الرفيعة ووطئوا ابراجها المنيعه وغدت عساكر الاعداء مقهوره امام عساكرنا المنصوره ولما تضعضعت منهم الاركان ورأوا ما جرى وكان رفعوا الرايات وطلبوا الامان فاجبناهم الى سوالهم وبلغناهم غاية آمالهم وعاملناهم بالرفق والاحسان شفقة عَلَى الاهالي والسكان ورأفة بالبنات والنسوان والاطفال والصبيان واخرجنا عبد الله باشا وكتخداه وقواد عسكره وزعماه واستولينا على عكا قهراً بأذن الله ولاجل اعلان هذه البشرى حررنا لكم هذا المنشور من ديوان عسكرنا المنصور لتعلنوا مضمونه بالشنلك والسرور وتواظبوا تأدية الدعوات الخيريه الى حضرة باري البريه بدوام بقاء سعادة ولي النعم جناب والدنا المعظم

حرر في ٢٨ ذى الحجه سنة ١٢٤٧ هجريه الختم

سلام عَلَى

ابراهيم

وبعد ذلك استدعى بعبد الله باشا فحضر بين يديه وسلم عليه واعتذر اليه وتصور الموت نصب عينيه فلاطفه وطيب قلبه وسكن روعه ورعبه واجلسه بالقرب من حضرته وقابله بما يليق بحشمته ثم أرسل الى ابيه اسيراً ذليلاً حقيراً وعند دخوله عليه وقع على قدميه ملتمساً منه الرضى والعفو عما مضى فلما راى حاله صفح عنه ورثى له وانزله في احسن السرايات واجرى عليه ما يلزمه من العلائف والنفقات فتباشرت الناس بزوال ايامه وسرت بانقراض احكامه

## الباب السادس

في مسير ابراهيم باشا البطل الهمام بليوث الاجام وفرسان الصدام لافتتاح مدينة دمشق الشام

وكان ابراهيم باشا صاحب الهمة العليه والصولة الحيدريه قد بقي في نفسه شيء من حرب القصير عَلَى ما مر ذكره فأثر ذلك عنده تأثيرات ما زال يختلج بها صدره اذ لم يكن في قصده الاعتدأ عَلَى حقوق الدوله العليه ولا الاستيلاء عَلَى سوريه وانما كان جل قصده الانتقام من عبد الله باشا المذكور لما كان بينه وبين حضرة الخديوي من الخلاف والنفور فما لبثت الدولة ان بادته بالشر والقتال عَلَى ما سول لها سوء الظن به واختلاف

الاقوال فاضطر الى المدافعه عن نفسه ودفع الرجال بالرجال ثم لما تمادى الامر عَلَى الشقاق واصرت الدولة عَلَى عدم الوفاق لم يجد بداً من طرح ذمامها والثبات على حربها وصدامها فلما فرغ من حرب عكا كما تقدم الكلام تجهز لاخذ مدينة دمشق الشام ونهض في سبعة آلاف بطل همام وسار معه الامير بشير حاكم لبنان في الف وخمسمائة عنان فوصل اليها في اليوم الخامس عشر من شهر حزيران سنة ١٢٤٨ هجريه الموافقه لسنة ١٨٣٢ مسيحيه وكان الوالي يومئذ عَلَى البلد رجلاً يقال له علي باشا الاسعد فلما بلغه قدوم هذا الاسد اضطرب فوءاده وارتعد فاستعد للقاه وخرج بالعساكر لملتقاه فالتقاه المصريون بقلوب كالجبال واشتبك بينهم القتال ولم تكن الا جولة حتى انكسر عسكر الدوله فولى وطلب الهرب وتفرق جمعه وانغلب واغتنم علي باشا الهزيمه فنجا بنفسه الى حمص في حالة ذميمه ولم تنفعه همة ولا عزيمـه وبلغ ابراهيم باشا بأسه الشديد ما كان يشتهي ويريد ودخل الى البلد بالنصر والتاييد فامتلكها ونزل في دار السرايا وانقادت لامره جميع الرعايا فعامل الناس بلطفه المعهود واستمال نفوسهم اليه بالعدل والجود فاستنارت بقدومه المدينه وتزينت اسواقها بأحسن الزينه وصفقت طرباً انهارها السبعة واصبحت جبهتها بتشريفه مباركة الطلعه

حاكت علاه بدور الافق وابتهجت
فيه الاهالي وقد قرت به نظرا
وزاد حسن دمشق الشام واكتسبت
فخراً بمقدمه اذ جاء منتصرا
وصفقت طرباً انهارها وغدا
داعي التهاني بها يعتز مفتخرا

## الباب السابع

في خروج حسين باشا من القسطنطينيه بالجيوش السلطانية والمهمات الحربية لمحاربة العساكر المصريه ووصوله الى عربستان وانهزامه في واقعتي حمص وبيلان

وكانت الدولة العليه لما بلغها قدوم ابراهيم باشا الى سوريا وافتتاحه الاساكل البحريه عينت حسين باشا السردار الاكرم الذي سبق ذكره فيما تقدم وارسلته من القسطنطينيه بالعساكر والمهمات الحربيه لقتال الجيوش المصريه واخراجها من الديار الشاميه فسار بهمة وحميه وبمعيته ستون الف مقاتل بين فارس وراجل منها خمسة واربعون الفاً من العساكر المنتظمه وخمسة عشر الفاً من الاتباع والخدمة ومعها المدافع نحو مئة وستين وبمعيتها جماعة

من ضباط الاروبيين هذا ما عدا العساكر الاحتياطيه التي حضرت من ازمير بالعماره الحربيه وعسكرت في شطوط القرمان حتى اذا دعت الحاجة تاتي الى عربستان وكان حسين باشا المرقوم عند وصوله الى انطاكيه وتلك التخوم أرسل امامه طليعة من العساكر الى حمص بالمهمات والذخائر تحت قيادة البطل المغوار محمد باشا البيرقدار وعند وصوله اليها عسكر بجنده حواليها واجتمع بمن هناك من باشاوات الاتراك الذين كانوا بالانتظار لذلك الجيش الجرار واعلمهم بقدوم السردار الى تلك الديار وبمعيته العساكر الظافره والجيوش المتكاثره فانشرحت صدورهم واشتدت ظهورهم لانهم كانوا في خوف عظيم من حرب ابرهيم ولما بلغ ابرهيم باشا القائد العام وصول هذا الجيش وهو في دمشق الشام استعد لاستقباله وحربه وقتاله وتفريق رجاله وابطاله فجهز المهمات والمدافع ورتب الكتائب والطلائع وكتب الى عباس باشا في الحال يامره ان يقوم من بعلبك بالعساكر والابطال ويجد في السير ويوافيه الى قرية القصير وكتب ايضاً الى طرابلس الشام يامر حسن بك المنسطرلى بسرعة القيام وان يلاقيه باقي الجنود الى المكان المعهود ثم سار هو على الاثر بمن معه من العسكر قاصداً تلك الكورة فوصل اليها في سابع تموز من السنة المذكورة فالتقى بهما في ذلك المكان وبمعيتهما الرجال والفرسان فاخذوا يتفاوضون ويتذاكرون على ما هم عليه عازمون

وهل ينتظرون الاعداء في تلك البيداء ام يبادرون اليهم قبل ان يشرفوا عليهم فاستقر الراي عَلَى السير قبل وصول العدو الى القصير وكان بينهم وبين حمص نصف مرحله فباتوا في تلك المنزله ولما اصبح الصباح وسطع نوره ولاح اصطفت المواكب وترتبت الكتائب وانتشرت البيارق ونفخ النفير وجدت العساكر بالمسير قاصدة حمص بدون تاخير وكان محمد باشا والي حلب ومن معه من الباشاوات وذوي المناصب والرتب لما بلغهم قدوم ابرهيم باشا اليهم وانه عما قريب يشرف عليهم تأهبوا للحرب واستعدوا للطعن والضرب ولما اقترب المصريون من المدينة ولاحت لهم عن بعد قلاعها الحصينة ابصروا جيوش الاعداء تموج في تلك السهول والمروج فاصدر ابراهيم باشا الاوامر بترتيب صفوف العساكر وسرعة الاستعداد للحرب والجلاد فاصطفت وترتبت واستعدت وتاهبت وتقدمت فرقة من العرب الهنادي نحو عسكر الاعادي فاقتتلت مع طليعة الاتراك واخذت معها في الصدام والعراك فاستظهرت عليها غاية الاستظهار وقتلت منها جملة انفار ثم انكشفت الاعلام والبنود وظهرت العساكر والجنود وهي مقبلة للقتال عَلَى قدم الاستعجال وكانت طوابيرها منقسمة الى اربعة صفوف منتظمة ومرتبة عَلَى هيئة حسنه بين قلب وميسره وميمنه اما القلب فكان مواجها من امام لطريق دمشق الشام واما الميمنة فكانت منتشرة في ذلك البر

الاقفر ومحاذية لنهر العاصي من الجانب الايسر واما الميسره فكانت مستندة لمزرعة على مسافة قريبة من النهر المذكور لتمنع الاعداء عن الهجوم والعبور وكلها ثلاثون الفاً من عساكر نظاميه وارناوءط وهوارا ودالاتيه ومعها اربعون مدفعاً ضباطها اشتهروا بين الناس بالشجاعة وقوة الباس كمحمد باشا البيرقدار ويا كر باشا الخزندار ومحمد باشا والي حلب وغيرهم واما العساكر المصريه فكانت موءلفة من عشرين الفا واربعة وار بعين مدفعاً من اجرام مختلفة ومنقسمة الى ثلاثة اقسام على احسن ترتيب وكل نظام · وكان القسم الاول في مقدمة الجحفل وهو موءلف من الالاي الثاني عشر والثالث عشر والثامن عشر من الرجاله ومستند من اليمين واليسار بالالاي الخامس والحادي عشر من المشاه ومستنداً من اليمين واليسار على نحو مائة خطوه بالالاي الرابع والسابع من السواريه ذوي البسالة والسطوة واما القسم الثالث فكان جيش الاحتياط وهو موءلف من الالاي الثامن المشاة ومستندة من اليمين واليسار بالالاي الثالث من الخياله ذوي الثبات والنشاط وعلى جناح هذا القسم من اليمين والشمال كانت عساكر الجبل متهيئة للقتال ولما تدانى العسكران وتقابل الجمعان امر ابرهيم باشا فارس الميدان الالاي الثاني والثالث والرابع من الفرسان ان يبرزوا الى ساحة الهيجاء ويهاجموا الجانب الايسر من عسكر الاعداء بحيث تصلى نيران

الحرب من اليمين واليسار والقلب فلبوا امره بالطوع والامتثال وساروا في عاجل الحال قاصدين اعداءهم بقلوب كالجبال وعند وصولهم اليهم هجموا عليهم وصدموهم بقلوب اقوى من الحديد واقسى من الجلاميد واطلقوا عليهم البواريد ثم اقتحموا صفوفهم واخترطوا سيوفهم وحكموها في ابدانهم فزحزحوهم عن مكانهم فلما رات عساكر الاتراك المقيمين بالقرب من هناك ما اصاب اصحابها من البليه بادرت بهمة وحمية لمهاجمة العساكر المصريه فالتقاها المصريون في الحال وصدموها صدمة تزعزع الجبال واشتعلت بينهم نيران الحرب واختلف الطعن والضرب واشتد البلاء والكرب وهان كل امر صعب وعند ما شاهد ابرهيم باشا تلك الحركة وهو بالقرب من ساحة المعركة امر احد قواد العسكر ان يسير بالف فارس علَى الاثر ويقصد ذلك المكان المعهود ليعضد من له فيه من الجنود واسنده من اليمين بصف من الطوبخانه ومن اليسار بالالاي الثاني عشر من المشاة وبفرقتين من الششخانه فامتثل وسار كالسهم الطيار وعند وصوله الى هناك انعطف علَى صفوف الاتراك واخذ معها في الشباك والعراك ثم تقدم باقي الجيوش المصريه حتى اقتربوا من العساكر العثمانية وانفصل الالاي الحادي عشر من مشاة العسكر وانضم الى الالاي السادس والسابع من الفرسان وقصدوا ميمنة العدو من غير هدو ولا توان فعبروا النهر عند العصر وانتشروا علَى

شاطئه الايسر غير مبالين بالخطر املاً بالنصر والظفر وبلوغ القصد والوطر ولما راى محمد باشا تلك الهجمة متجهة نحو جناحه الايمن عزم عَلَى دفعها وملافاة الامر بالتي هي احسن فامر احد القواد ان يتقدم بطابورين من الاجناد ويهاجم عسكر المصريين من جانب اليمين فبادر بالعجل وانعطف نحوهم وحمل فالتقته المصريون من جهة اليسرى واقاموا عليه القيامة الكبرى وكان قائد هذه الواقعه وموقد نار تلك المعمعه البطل الهمام وليث الوغى في معارك الصدام من تتبدد به جيوش العدى وتتلاشى ابرهيم باشا فبذل بشدة عزمه المجهود وقوى بهجاته قلوب الجنود لعلمه بان امر النصر متوقف عليه وتدبير الحرب راجع اليه فلله دره من اسد كرار وبطل قهار فانه سطا سطوة جبار والقى نفسه في مواقف الاخطار وفعل فعالاً تدهش الابصار وتحير العقول والافكار فلو راه الاسكندر او ابو الفوارس عنتر في ذلك اليوم المنكر وهو يخوض معركة القتال من اليمين والشمال ويبري بحسامه جماجم الابطال تعلما منه فنون الحرب ومواقعة الطعن والضرب ابو زيد الخيل وعامر ابن الطفيل لانذهلا واندهشا وخافا وارتعشا وقبلا رجله في الركاب وذلا بعد ما خضعت لهما الرؤوس والرقاب

قرم تذيب العدى رعباً مهابته      اذا انتضى يوم حرب صارماً ذكرا

قاد المنايا له جيشاً وكر على      جيش الاعادي بطعن يسبق القدرا

وما زالوا في قتال واشتباك حتى تزعزعت فرقة الاتراك من هول الصدام وشدة العراك فنكصت الى الوراء وطلبت جوانب الصحراء فلما راى محمد باشا تلك العبر وان ذلك القائد قد انكسر خاف من الهزيمه التي عاقبتها ذميمه فامر محمد باشا الكريدلي وكان من الشجعان ان يتقدم بالالايين من الفرسان ويقتحم مواكب الاعدا من الجانب الايسر بينما يهجم هو عليهم بقلب العسكر من الطرف الاخر فيأخذوهم من الجانبين ويحصروهم بين النارين فامتثل ما امر وحمل هو بباقي الزمر فادرك ابراهيم باشا بفراسته وذكائه حركة جيش اعدائه لانه كان سريع الادراك صادق النظر يبرم الراي بسرعة تحاكي لمح البصر ولما علم ذلك حول هيئة المعركة على الصورة الموافقة لدفع تلك الحركه فارسل فرقة مع حسن بك المسطرلي لمقابلة محمد باشا الكريدلي وانعطف هو بباقي العسكر على جيش محمد باشا القايد الاكبر وفي الحال التحم القتال واتسع بين الفريقين المجال وارتجت السهول والتلال من ضجيج الابطال واصوات البارود التي كانت تزعزع الجبال فكانت ساعة تقشعر منها الجلود وتشيب من هولها الاطفال في المهود زلزلت الارض فيها زلزالها واظهرت القيامة اهوالها وابصرت الابطال ما راعها وهالها فما كنت ترى الا فرسانًا مشتبكه وصفوفًا محتبكه ودماء منسفكه وخيولاً غائره واعضاء متناثره ورووسًا طائره

وما زالت المكافحة بينهم قائمه ونار البارود متصلة دائمه نحو اربع ساعات من النهار وهم في قتال اشد من لهيب النار وكانت قد كلت جموع محمد باشا وانحل عزمها وتلاشى وزادها الخوف رعباً وارتعاشا فتقهقرت، فرسانها وتزعزعت واختل عقد نظامها وتضعضعت ويئست من بلوغ الارب وايقنت بالهلاك والعطب ونعي فوق روءسها ناعي الويل والحرب فلم يعد يمكنها الاصطبار ولم تجد سبيلاً لها الا الفرار فالقت راياتها وبيارقها ونكست اعلامها وسناجقها وانهزمت عَلَى اعقابها وتركت جميع ذخائرها واسلابها وتفرقت في عرض الفلا وهي لا تصدق بالنجاة خوفاً مما اصابها ودهاها وقد تخضبت الارض بدماها وامتلات بجثث قتلاها وتبعها المصريون عَلَى الاثر وكللهم تتساقط في اقفيتها كالمطر وكان قد قتل منها عَلَى ما قيل نوف من اربعة آلاف قتيل ومن المصريين نحو خمسمائة وخمسين وولى محمد باشا هارباً وللنجاة طالباً قاصداً مدينة حلب الشهباً وتبعه اكثر القواد والوزراء ما عدا محمد باشا البيرقدار فانه ولى الادبار وفر طالباً حسين باشا السردار ليعلمه بتلك الكسره ويطلب منه النجدة والنصره وهو لا يصدق بالنجاه خوفاً مما دهاه من شدة ما حصل عنده من الهول العظيم كان كثيراً ما يلتفت وراه خوفاً من هجوم الغريم ويقول هي كدى اصلان ابراهيم واستحوز ابراهيم باشا عَلَى مهماته وذخائره وفرق غنائمه عَلَى

ضباطه وعساكره واستولى على حمص وحماه واقام فيهما الحكام والولاة وكان قد وقع في يده. الفان من الاسارى بين عساكر نظاميه وارناوءط وهوارى فاعطاهم الامان وعاملهم بالرفق والاحسان وادخلهم بين جنوده المصريه وعين لكل واحد منهم جامكيه وكتب الى ابيه بمصر يخبره بهذا النصر وكان حسين باشا السردار الاكرم قد خرج من انطاكيه بالجيش العرمرم طالباً حمص وحماه وهو يجد في قطع الفلاه وفي اثناء الطريق بلغته تلك الاخبار وما حل بعسكره من الويل والدمار فزاد به الغيظ والحنق واضطرب فوءاده وخفق وتأسف عَلَى ما جرى وارتد راجعاً الى الورى ليجمع شمل العساكر القادمه ويأخذ لنفسه الاحتياطات اللازمة وما زالت العساكر في انكسارها ساعيه وراء وزيرها وسردارها وفي مقدمتها محمد باشا البيرقدار وهو لا يعرف الليل من النهار حتى التقى بحسين باشا المشار اليه فتقدم وسلم عليه ومثل بين يديه وحدثه بذلك الخبر وما حكم به قلم القضاء والقدر من انكسار جنوده وتنكيس اعلامه وبنوده فظهرت عَلَى وجهه علامات الغضب وارتبك في امره واضطرب ومن شدة ما اعتراه رفسه برجله فالقاه عَلَى قفاه بعد ان شتمه واهانه ونزع عنه سيفه ونيشانه ثم طرده من امامه ووكل به بعض خدامه فخرج من بين يديه وهو ينفض غبارات الموت عن منكبيه وحسب تلك الاهانة سعادة له وافتخارا

لانه كان قد شاهد المنية جهارا وما زال حسين باشا يقطع البيد
وهو في غيظ شديد وغم ما عليه مزيد حتى وصل الى جسر
الحديد وهو مكان واسع الجنبات يبعد عن انطاكيه اربع ساعات
وهناك شمر ساعد العزيمه وجمع ما تشتت من جنوده بعد تلك
الهزيمه ثم تجهز وارتحل وسار على عجل قاصداً مدينة حلب وفي
قلبه حر اللهب من شدة الغيظ والغضب فالتقى بواليها قرب المدينة
وهو في حالة حزينه فاعلمه محمد باشا بواقعة الحال وما اصاب
عسكره من النكال فازداد حنقاً على حنق وقلقاً على قلق وعند
وصوله الى حلب الشهبا عقد مجلساً حربياً مع الاعيان والعلماء
وبعد جلسة طويله ومذاكرة مستطيله طلب منهم ان يمدوه بالذخائر
والعدد ويقدموا له عسكراً من ابناء البلد فلم يوافقوه على ذلك
من المشايخ واكابر العمد لان نفوسهم كانت غير مائلة اليه ولا
موءملة حصول النصر على يديه بل كانوا يحاولون الخروج من
قبضة الدولة العليه والدخول تحت طاعة الحكومة الخديويه فلما
يئس من النجدة والمعونه عزم على المسير الى الاسكندرونه ليقيم
فيها الحواجز والقلاع ويجعلها حصن الوقاية والدفاع نظراً لحسن
مراكزها الطبيعيه ولكونها من الاساكل البحريه ومما يستحق الاعتبار
ان هذا السردار كان قد اجتمع مع قنصل فرانسا في ذلك النهار
فاخذ يحادثه بالكلام ويسأله عن حواصل بر الشام وعن اسعار

الحرير والحنطة والشعير وغير ذلك من المسائل التي ليس تحتها طائل وبعد ان تناول معه الطعام خرج الى المضارب والخيام وبات تلك الليله في المعسكر وهو في خوف وحذر وقلق وضجر وعند طلوع النهار بلغته الاخبار بقرب وصول ذلك الجبار والليث الباسل القهار ابراهيم باشا فارس الاقطار الى تلك الديار فخفق قلبه وخاف ولم يعد يمكنه الا الانصراف والرحيل من تلك الاطراف فقسم جيشه الى قسمين وارسله الى الاسكندرونه على طريقين الاول سار على طريق كلس وبيلان وسار هو في الثاني بباقي الجيش والفرسان قاصداً تلك الناحيه على طريق انطاكيه وتبعه والي حلب ووالي دمشق الشام وجميع الباشوات الفخام وعند وصوله الى الاسكندرونه اقام فيها وخيم بجيوشه في نواحيها هذا ما كان من امر السردار الاكرم واما ابراهيم باشا الاسد الغشمشم فانه بعد ان انتصر وغلب وبلغ من عدوه القصد والارب سار طالباً مدينة حلب على طريق تل السلطان فمعرة النعمان وكان وصوله اليها بالعسكر في اليوم الثامن عشر من شهر صفر سنة ١٢٤٨ هجريه الموافقه لسبعة عشر تموز سنة ١٨٣٢ مسيحيه وذلك بعد خروج حسين من المدينه بيومين فاستقبله اهلها بالترحيب والتفخيم ودخلها بموكب عظيم وكان اول من ورد اليه بالتهنئة والسلام قناصل الدول العظام ثم جاء القاضي

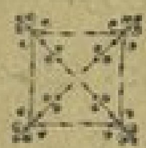
والمفتي واعيان البلد وباقي الوجوه والعمد فدخلوا وسلموا عليه والقوا دفة امورهم بين يديه فاعطاهم الامان وعاملهم بالحلم والرفق واحسن اليهم كما احسن الى اهل دمشق وفي ايام قلائل وردت اليه الكتب والرسائل من ولاة الاقطار وحكام المدن والامصار التي في ذلك الجوار يهنئونه بذلك الانتصار ويلتمسون من حضرته الدخول في حمى دولته فشكرهم عَلَى ذلك الكلام وبلغهم غاية القصد والمرام وبعد ان نظم احكام المدينة عَلَى احسن الاساسات المتينة واذعنت لطاعته جميع الولايات الكائنة في تلك الجهات كديار بكر ونواحيها واورفا وما يليها نصب بها الولاة والمتسلمين من خواص قواده المشهورين لتقوم باشغالها وتدبير اعمالها ثم تجهز للارتحال ونهض بالرجال والابطال للقاء حسين باشا وقتاله مستعيناً بالله عَلَى حربه ونزاله قاصداً الاسكندرونه عَلَى طريق قرية بيلان حيث لم يكن له طريق اخر الا من ذلك المكان وكان خروجه من حلب بالعسكر في اليوم السابع والعشرين من صفر فوصل الى حضيض بيلان بالجحفل في اليوم الثاني من ربيع الاول وهي قرية جميلة البنيان رفيعة الجدران مبنية عَلَى ذروة جبل شامخ تبعد عن الاسكندرونه نحو ثلاثة فراسخ فتجمعت العساكر في تلك الناحية وانتشرت في السهل الواقع شمالي طريق كلس وانطاكية وهذان الطريقان يلتقيان عند حضيض بيلان ومن هناك يصبح الطريق واحد للطارق

والوافد وهو ضيق المجال . عَلَى الخيل والرجال وكان حسين باشا
عند مروره ببيلان اقام فيها سبعة عشر الفاً من الرجالة والفرسان ليقطع
عَلَى المصريين منافذ طريقها باقامة الحواجز عند باب مضيقها بحيث
كان يستطيع بالف مقاتل ان يدفع عشرين الف بطل باسل بالنسبة
الى مركزها الشاهق ومجال مسلكها المتضايق فلما اقبل ابرهيم باشا
اليها واشرف بجيشه عليها وجدها مشحونة بالعساكر والموءن فبادر
الى الحرب واستعد للطعن والضرب فقسم جيشه الى اربعة اقسام
واقام كل قسم في مقام ورتب صفوف طوابيه محكمة عَلَى جيوش
اعاديه وكان قلب جيش الاتراك ضابطاً راس المضيق عَلَى تل
هناك وهو ممتد ومنتشر عَلَى شكل خط منكسر وموزع عَلَى ثلاثة
باشاوات وموءلف من عدة طوابير والايات ممتدة من اسفل
الطريق الى راس المضيق ومن الجانب الايمن والايسر كانت
الطوبجيه وباقي العسكر ولما اختبر ابرهيم باشا مراكز الجيوش
العثمانية وعرف حركاتهم الحربية امر الالاي الثامن والثامن عشر
من الرجاله والاي الحرس ذوي السطوة والبساله ان يسيروا عن
طريق كلس بالعجل ويصعدوا الى ذروة الجبل ويهجموا على
ميسرة العدو من غير توان ولا هدو فلبوا امره السامي المطاع
وساروا عَلَى قدم الاسراع قاصدين اعدائهم كضواري السباع ثم
تقدم بعدهم عَلَى الاثر بامر القائد الاكبر الالاي الثالث عشر من

مشاة العسكر تحت قيادة الشجاع المشهور. والفارس المذكور صاحب القدر العلي حسن بك المنسطرلي فسار كالبرق مسرعاً وبمعيته اثنا عشر مدفعاً قاصداً ساحة الهيجاء والهجوم على ميمنة الاعداء من الجهة الثانية المعروفة بطريق انطاكية وكان ابرهيم باشا ليث الطراد وسيف الجهاد قد اقام عن يمين ويسار فم الوادي فرقاً من خيالة الاجناد ليعضد العساكر اذا ظفروا ويرد العدو عنهم اذا انكسروا واستوى هو بنفسه لهم قائداً ومراقباً حركاتهم ومساعداً فلما رات العساكر السلطانيه تقدم الجيوش المصرية وهي صاعدة اليها ومشرفة عليها من اليمين والشمال كانها اسود الدحال اطلقت عليها المدافع من الجانبين المحكمة على الطريقين المذكورين فعند ذلك امر ابراهيم باشا فارس الوقائع وليث المعامع بهجوم العسكر واطلاق المدافع فاطلقت المدافع والبواريد وتسابقت العساكر الى الحرب بقلوب اقوى من الحديد فاشتبك من الجانبين القتال واصطدمت الرجال بالرجال وارتفع العجاج وعظمت الاهوال وسالت الدماء في ميدان النزال وماجت الخيل بركابها كما يموج البحر اذا لعبت به ريح الشمال وكانت لهم ساعة من ساعات القيامة قد امتلأت من الاهوال وخلت من السلامه لان اصوات المدافع وضجيج الابطال كاد يطبق الاودية والجبال وضرب السيوف وطعن النصال كان يذهل العقول ويشيب الاطفال وما زالوا في الكفاح

والجهاد والنزال والطراد حتى امسى المكان كانه محاط بمائة بركان تتقذف منها النيران والدخان وكانت من ابتداء الموقعة نيران الفريقين غير منقطعة غير ان المصريين كانوا في الحرب اكثر انتظاماً واخف حركة واشد التحاماً فكانت سرعتهم في اطلاق البنادق والمدافع تسبق وميض البرق اللامع وكان كل فرد منهم عَلَى التقريب والتعديل يقاتل اربعة من الاتراك عَلَى القليل لانهم كانوا قد واظبوا ميدان الحرب ودرسوه واكتسبوا منه علماً بما مارسوه ومع ذلك لا يبالون بالبلاء ولا يهابون كثرة الاعداء بل فضلوا ان يموتوا امام قائدهم البطل على ان يرجعوا بالخيبة والفشل واستمر القتال من العصر الى بعد غروب الشمس وكانت قد كلت جيوش الاتراك وقتل منها اوفى من ثلاثة الاف نفس فعند ذلك اختل نظامها وتزعزعت عن المقام اقدامها فتمزقت صفوفها كل ممزق وتشتت شملها وتفرق وولت على ادبارها نفوراً وكان امر الله قدراً مقدوراً ولم يفقد من المصريين غير اربعماية وعشرين واستولى المصريون على مهماتها ومدافعها وذخائرها وجبخاناتها وباتوا في تلك الديار شاكرين لله على هذا الانتصار وعند طلوع النهار ارسل ابرهيم باشا فارس الاقطار عباس باشا الى الاسكندرونه في ستة الاف بطل كرار ليقتفي اثر حسين باشا السردار ومن معه من الاعوان والانصار واتفق ان حسين باشا قبل ان تصل اليه

اخبار الهزيمة كان موجوداً في دار موسيو مارتينلي قنصل دولة فرانسا الفخيمة فبينما هو يتناول الطعام ويتذاكر في امر الحرب والصدام اذ بلغه هذا الخبر وما حل بعسكره من العبر فاستعظم المصاب وخرج بمن دائرة الصواب فنهض في عاجل الحال وسار بباقي الرجال والابطال طالباً الهزيمة والفرار خوفاً من الهلاك والدمار وعند وصول عباس باشا الى البلد وجده مشحوناً بالذخائر والعدد فبادر اليها وحجز عليها ثم لحق من هناك بجيوش الاتراك فاسر منهم عدداً وافراً وعاد غانماً ظافراً وكان حسين باشا قد اسرع في الهزيمة الى ان وصل الى قونيه بعد مشقة عظيمة ومخاوف جسيمه واما ابرهيم باشا اسد الاساد وسيف الجهاد فبعد ان بلغ الارب ونال غاية القصد والطلب عاد راجعاً الى حلب بعد ان كتب الى ابيه من بيلان بما جرى وكان وفي تلك الاثناء التقت العمارة المصرية بعمارة السلطان بين جزيرة رودس وشواطي القرمان فصار عثمان بك نور الدين قائد العمارة المصرية يطارد خليل باشا قائد العمارة العثمانيه من دون ان يحاربه او يهاجمه ويضاربه ولكنه اكتفى بحصره في خليج مرمريس وكان ذلك على خليل باشا اعظم تنكيس



# الباب الثامن

## ﴿ حرب قونيه ﴾

فلما بلغ الدولة العلية تقدم العساكر المصريه وانكسار الجيوش السلطانيه اضطربت قلقاً واستشاطت غيظاً وحنقاً فعزلت حسين باشا السردار الاكرم وعينت محمد رشيد باشا الصدر الاعظم ليسير الى ذلك الطرف ويستدرك ما سلف قبل ان يعظم الامر ويشتد وينفتح عليها باب لا يسد وكان هذا الوزير من الافراد المشاهير موصوفاً بحسن الراي والتدبير وموثوقاً به في التقديم والتاخير فاخذ من يومه في الاستعداد وكتب الى قواد البلاد يامرهم بتجهيز العساكر والاجناد فتبادرت الجيوش اليه وتتابعت من كل جانب عليه هذا ما كان من امر الدولة واما ابراهيم باشا صاحب الشوكة والصوله فانه بعد هذا الانتصار ما زال ساهراً اناء الليل واطراف النهار لجهة تثبيت فتوحاته في تلك الديار التي نالها بسيفه البتار وبينما كانت الدولة العليه منهمكة في الاستعدادات الحربيه كان هو ايضاً اخذاً في التقدم نحو القسطنطينيه وفي اليوم الخامس عشر من ربيع الاول والحادي عشر من آب من السنة المذكوره سار من حلب الى ادنه بالعساكر المنصوره وكانت قد سلمت له من كل قضائها تخيم جيشه حول ارجائها منتظراً الاوامر الخديويه وما صممت عليه الدولة العثمانيه اما للسلم والمصالحه واما للحرب والمكافحه

وكان جناب الخديوي الاعظم بعد ان انتصرت اعلامه في المعركتين الاخيرتين كما تقدم لم يستول عليه التعاظم والافتخار ولم تاخذه غرة الفوز والانتصار علَى مداومة القتال والنزاع والجدال بل كان يود بث الخلاف وحسم الفتن وتلافيها بالتي هي احسن والاقتناع بما فتحه سيفه البتار وساعدته عليه يد الاقدار مع انه كان قادراً بعد ان كسر جيشاً وافراً ان يتقدم مغتنماً فرصة انتصاره وضعف قوة عدوه وانكساره بعد واقعتين هائلتين وهزيمتين متواليتين على افتتاح القسطنطينيه والاستيلاء على السلطنه العثمانيه ولكنه كما تقدم الكلام كان يوءثر الصلح والسلام على النزاع والخصام والحرب والصدام وكان يومل ان فوز اسلحته وانتصار ابطاله يحمل الدولة ان تكف عن حربه وقتاله ولكن الدولة بعد واقعتي حمص وبيلان لم تطلب عقداً للصلح او فتح المخابرة بهذا الشان بل كانت آخذة في الاستعدادات وتجهيز العساكر والمهمات طلباً لاخذ الثار وطمعاً في الفوز والانتصار واما الخديوي المشار اليه فلما علم تجهيزات الدولة وما صممت عليه لم يجد بداً من مداومة القتال وتفويض الامر الى حكم حدود النصال وبينما كان الصدر الاعظم وباقي روءساء الدوائر يناظرون تدبير الجيوش وتجهيز العساكر وارسالها الى قونيه بالمهمات والذخائر كان ابرهيم باشا عالماً بتجهيزاتهم وعارفاً بحقيقة حركاتهم وكانت مدينة ادنه التي اقام فيها وعسكر

في نواحيها لكي يحمي بلاد سوريه من مهاجمة العساكر العثمانية لا تصلح لقيام حركة حربية بالنسبة لمراكزها الطبيعيه فاصبح مضطراً اما ان يتقهقر بالجيش والعسكر ويستند الى مكان اخر او ان يتوغل الى قدام ويواظب على الحرب والصدام اما رجوعه القهقري وارتداده الى الورى؛ فلم يكن لائقاً برفيع مقامه بعد ذلك النصر الذي ناله بجسامه واما توغله في تلك البيداء واقتحامه مواكب الاعداء وهو في عدد يسير وهم في جم غفير كان امراً مخطراً ولو كان اذ ذاك منتصراً ولو كان لا يسعه ان يرجع ويعود ولا ان يقيم في تلك الحدود صمم عَلَى التقدم نحو العاصمة وملاقاة الجنود القادمه واستخار الله رب العباد على صدق الجهاد وكانت الحضرة الخديويه لما بلغوها تجهيزات الدولة العلية الجارية في القسطنطينية وبقرب خروج الصدر الاعظم بذلك الجيش العرمرم لم تجد بداً من مداومة القتال لينتهي الحال ويرتفع النزاع والجدال اما بالانتصار التام او بالانكسار والانهزام فارسلت الاوامر والمراسيم الى ولدها ابرهيم ان يرحل من تلك البلاد ويتقدم نحو قونيه بالعساكر والاجناد ويباشر الحرب والجلاد وكان جناب المشار اليه قبل ورود هذه الاوامر عليه مستعداً للرحيل والقيام والتقدم الى امام كما تقدم الكلام واذ كان لا يمكنه تخلية البلد خوفاً من سطوة العدو اذا وفد اقام عباس باشا فيه ليحفظه ويحميه وبعد

ذلك تجهز وارتحل في السابع عشر من جماد الاول قاصداً مدينة قونيه علَى عجل بعد ان ارسل جيش الباش بزق و بعض الفرسان عن طريق منارة خان وسار هو بباقي العسكر من طريق اخر ولما بلغ شطوط القرمان التقى بعثمان بك نور الدين الذي كان بعد ان طارد عمارة السلطان كما ذكرنا قبل الان وحصرها في خليج مرمريس اياماً تخلصت ولم يبلغ فيها مراماً سوى فرقاطتين وكوتروابريقين فنظر اليه بعين الاحتقار وقال له الا تعلم ان تضييع فرصة الانتصار هي عندى من اعظم الذنوب الكبار وانت قد قصرت في خدمتك وتوانيت في تنفيذ اوامر ولي نعمتك الامر الذي منه قد تكدرت اكثر مما لو حاربت انت وانكسرت وانني لولا اعتبار حرمة ولي النعم جناب والدي المعظم لنزعت عنك السيف والنيشان وطردتك الى ابعد مكان ثم انه بعد هذا الكلام والتوبيخ والملام سار بالعسكر والجنود حتى وصل الى قرية نمرود تخيم في تلك الحدود وكان قد ارسل سرية من الجيوش النظاميه فاستولت على بوغاز كولك وهو معبر عسر المسلك و بافتتاح هذا المضيق سهل للمصريين الطريق ولم يبق عليهم سوى واد آخر اصعب من الاول واعسر

فبعث ابراهيم باشا طابورين من العسكر لافتتاح ذلك المعبر تحت قيادة سليم بك حجازي وابراهيم اغا الجوخدار وكانا من

ذوي الشجاعة والاقتدار ولما اقتربوا من فم الوادي التقتهم عساكر الاعادي وكانوا نحو ثلاثة آلاف قد كمنوا في تلك الاطراف ليمنعوا المصريين عن العبور من ذلك المكان المذكور فبادر المصريون اليهم ونزلوا نزول القضاء المبرم عليهم والمبوهم بضرب الرصاص وسدوا عليهم طرق الخلاص ولم تكن غير ساعة من الزمان حتى ابلوهم بالويل والهوان وشتتوهم في الجبال والوديان واستولوا عَلَى ذلك المكان وبينما كان المصريون منتصرين في هذه الناحية كانت فرقة اخرى انتصرت في جهة ثانية يقال لها اولو قشله انفشل فيها العدو اعظم فشله ولما بلغ ابراهيم باشا هذا الخبر نهض عَلَى الاثر مع باقي العسكر وسار عَلَى عجل حتى قطع ذلك الجبل فخيم في سهل هناك كانت قد اخلته جيوش الاتراك فاستقبله اهل تلك الديار وولاة هاتيك الاقطار بالفرح والاستبشار وهنئوه بذلك الفوز والانتصار فاعطاهم الامان وعاملهم بالرفق والاحسان وفي اليوم الثالث من تشرين الثاني توجه من قبل الدولة بالجيش العثماني جناب دستورها الاكرم محمد رشيد باشا الصدر الاعظم فنزل المرحلة الاولى في أسكودار ثم وجه عسكره نحو قونيه وسار وبعد خروجه بخمسة ايام صدرت من ابراهيم باشا الاوامر والاعلام الى جيشه باخذ الاستعداد التام والمسير الى قونيه لاقامة الحرب والصدام فاجاب وامتثل واستعد وسار بالعجل ثم نهض ابراهيم

باشا وارتحل ولما اقترب من تلك الديار اتصلت اليه الاخبار بان امين روءوف باشا معاون حرب الصدر الاعظم وزعيم الجيوش التي كانت في قونيه وقائدها المكرم قد اخلى المدينة وجد السير قاصداً التحصن في اقشهير فلما علم بهذا الخبر فرح واستبشر فسبق الجيش والعسكر وقصد قونيه على الاثر فوصل اليها ليلاً في اليوم السابع عشر من الشهر المذكور ودخلها دون حرب دخول الظافر المنصور فنزل في دار الولاية واخذ باجراء ما تقتضيه الحكمة والدراية فامر بتحصين المدينة وتحويطها بالحواجز المتينة اذ لم يكن قد اخلاها الاتراك الا لكونها لا تصلح لاقامة الحرب والعراك ولما وصل الصدر الاعظم الى اقشهير وزد اليه امر الدولة ان ياخذ باحسن الحزم والتدبير وينتهز الفرصة المناسبة لاقامة المكافحة والمحاربة وكان ابراهيم باشا فارس الميدان وليث الحرب والطعان قد وجه محمد بك بفرقة من المشاة والفرسان ليأخذ له مراكز في قيصريه ويراقب حركة الجيوش العثمانيه وكتب الى ابراهيم باشا الصغير الشجاع الشهير ان يلبي الطلب ويخرج من حلب بفرقة من الابطال ومشاة الرجال ويمر بعين تاب ويقيم في شمالي مرعش وتلك الرحاب للسطوة والارهاب وهكذا بهذه الحركه الحربيه وقى جناحي عسكره وحفظ ايضاً قطر سوريه ولكن اضحى جيشه العامل عدداً يسيراً امام عدوه الذي كان جماً غفيراً فكان امامه

حينئذ جيش عظيم مستند الى العاصمة ووراءه سوربه مفتوحة جديداً وليس فيها قوة تكفي لحفظها من المهاجمة وعَلَى يمينه عثمان باشا والي طرابزان في سيواس بجمهور وافر وعلى يساره سليمان باشا في اضاليا في عشرة آلاف من العساكر وفي اليوم السادس والعشرين من رجب استعد الصدر الاعظم للحرب وتاهب فامر وافي باشا ان يسير من غير توان ولا هدو وينزل عَلَى قرية سلح بثمانية آلاف من الارنوءط ويقاتل العدو فاجاب وامتثل ونهض عَلَى عجل وكان ابراهيم باشا قد جعل فيها نحو الفي نفر لتحميها وتقيها وسار الصدر الاعظم في طريق آخر بباقي الجيش والعسكر واما ابراهيم باشا ليث المعارك فحينما علم بذلك سار بفرقة من المشاة والابطال قاصداً قرية سلح عَلَى قدم الاستعجال ليعضد من كان له فيها من الرجال وعند وصوله الى هناك التقى بجيش الاتراك وكان ذلك النهار كثير الثلوج والامطار ولما وقعت العين عَلَى العين اشتبكت الحرب بين الفريقين فما لبث الارنوءط ساعة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الهزيمة والفرار وتشتتوا في تلك الاقطار بين الروابي والقفار فغنم منهم المصريون خمسة مدافع ومن الخيل عدداً كثيراً وثمانية بيارق وخمسماية وعشرين اسيراً وفي اليوم الثاني بلغ ابراهيم باشا ان قسماً من الجيش العثماني ينيف عن سبعة الاف عنان نازل في طقوزلوخان بالقرب من ذلك

المكان فتاهب للحرب والطعان وقصدهم من غير توان بالايين من الفرسان وعند وصوله اليهم اطلق المدافع عليهم فما لبثوا ان وقعوا في اشتات وتفرقوا في البراري والفلوات ورجع ظافراً منتصراً بعد ان اسر منهم مائة وخمسين نفراً فدخل المدينه بموكب عظيم وعند دخوله سلم له نحو ستمائة من ارناوءط تلك الاقاليم وطلبوا ان يشملهم بنظره ويستخدمهم بين جنوده وعسكره فتحقق بفراسته منهم سلامة الطويه وارسلهم لينضموا الى فرقة محمد بك في قيصريه وفي الغد بلغ ابرهيم باشا بان الصدر الاعظم قد سار قاصده من لاريك بالجيش العرمرم وهي بلدة في تلك الجهات تبعد عن قونيه ثماني ساعات فوزع في الحال الاوامر على القواد بان يكونوا في اليوم الثاني مستعدين للحرب والجلاد وفي الصباح ورد اليه الخبر بان الصدر الاعظم قد اقترب بالعسكر فاخذ في الاستعداد للحرب والكفاح وامر عسكره بحمل السلاح فاستعد العسكر كما امر ووطن نفسه على الموت او الظفر وكان ذلك يوم الجمعة الواقع فى التاسع والعشرين من رجب سنة ١٢٤٨ هجريه الموافقه للحادي والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٨٣٢ مسيحيه فكان يوماً كثير الغيوم والضباب بحيث كانت كثافة السحاب تمنع احد الجيشين من ان يرى الاخر وهم في غاية الاقتراب فقسم ابرهيم باشا عسكره الى عدة اقسام واقام كل قسم في مقام فجعل الالاي الثالث عشر

والثامن عشر الذين لا يهابون الموت ولا يخافون من الخطر على الخط الاول من يمين الجحفل تحت قيادة صاحب القدر العلي سليم بك المنسطرلي وعلى مسافة نحو خمسماية قدم من هذا الخط جعل سليمان باشا الفرنساوي البارع بحركات الحرب بالحزم والضبط ومعه الالاي الثاني عشر والرابع عشر منتظمين على هيئة ترجح لهم الفوز والظفر وجعل سليم بك حجازي في القلب ومعه صفوفه المزدوجه متاهبة لاضرام نار الحرب واقام للحرس عن يمينه وشماله عَلَى نحو مائة وخمسين خطوة فرقتين من الخياله ذوي السطوة والبسالة وكل واحدة من الفرقتين موءلفة من الايين احدهما تحت قيادة احمد باشا المنكلي والاخر تحت لواء احمد بك الاسلامبولى وجعل امامه الخط الاول من مركز الجحفل ثلاث طوابى من الطوبجية الذين لهم معرفة بالامور الحربية وكذلك قدم من الطوبجية طابيتين وجعلهما امام الصف الثاني ثابتتين حيث كانتا مائلتين نحو القلب قادرتين عَلَى الملمات والضرب ووضع وراء قلب الحرس عَلَى روءوس صفوف الخيالة فرقة من الطوبجية ذوي الشجاعة والبسالة وفي طرف الجناح الايمن الى الوراء اصطفت الدالاتية والبدو متهيئة للالتقا وجعل في جبل قرية سلح طابورين من قواصة الاتراك الذين كانوا سلموا طوعاً وانتظموا حديثاً للقتال والعراك وهكذا كانت العساكر المصرية

مرتبة بعضها عَلَى شكل خطوط مزدوجه مرصعة وبعضها عَلَى شكل قلاع مربعة كانوا من اي جهة اتاهم العدو يستطيعون ان يلتقوه بغاية الثبات والهدو

وكان الجيش مستنداً الى قونيه من الوراء والى جانبه الايمن فلوات قفراً وعن يساره قرية سلح التي سبق عنها الشرح ومن امامه سلسلة من الجبال وعند حضيضها عساكر الاتراك مستعدة للقتال فعلى هذه الكيفية كانت مراكز العساكر المصرية واستعداداتها الحربية واما جيش العدو فكان مرتباً عَلَى اربعة صفوف بحسب ما هو بترتيب حركات الحرب معروف فكان الاول منها منتشراً والثلاثة الاخر متجمعة وكانت فرقاً فرقاً عَلَى عدة باشاوات موزعة وكانت الطوبخانة مقسمة من مدفعين عَلَى كل طابور ومن اربعة عَلَى كل الاي بالعد المحصور وكان خير الدين باشا عَلَى الجناح الايمن قد تصدر وسعد الله باشا عَلَى القلب قد تأمر والصدر الاعظم اخذ لنفسه قيادة الجناح الايسر وكانت هذه الجيوش مستندة من الوراء الى الجبال وعن يمينها قرية سلح وتلك التلال والى جانبها الايسر البر الاقفر ومن امامها قونيه والعساكر المصريه وطريق القسطنطينية بين الفريقين عَلَى السويه وكانت عساكرها مؤلفة من خمسة وخمسين الفاً وثلاثة وتسعين مدفعاً من اجرام مختلفة وكان الجيش المصري ثلاثين الفاً غير زائد ومعه ستة

وثلاثون مدفعاً من جرم وقياس واحد ولم يكن امامه سوى امرين
اما الاقدام والانتصار و ما الانهزام والبوار وكان الصدر الاعظم
قد وطن نفسه عَلَى ان يذهب قتيلاً او يرجع غالباً واقام احمد
فوزي باشا عنه نائباً حتى اذا اقتضى الحال لا يقع في العسكر
اختلال غير انه لتراكم الضباب وتكاثف السحاب قد اقام الفريقان
برهة من الزمان لا ينظر احد منهما الفريق الاخر ولا يفعل ادنى
حركة بان يتقدم او يتاخر وعند ما ظهر النور قليلاً وازال من
الضباب ما كان حجاباً ثقيلا انطلقت اعين الرجال والابطال
وراى الجيش المصري عدوه منتظما عَلَى مسافة ثلاثة اميال فامر
ابرهيم باشا الجناح الايسر يلوي قليلاً الى الوراء ولكن بكل
انتظام بحيث لا تتمكن منهم الاعداء لانه راى ان معظم حركتهم
متجهة الى نحو تلك الجهة فامتثل واطاع والوى نحو مائة ذراع
واذا بعساكر الاتراك قد هجمت مثل السباع واندفعت الى ساحة
القتال اي اندفاع فبدأت الحرب بقلوب غير جازعة واطلقت
مدافعها طلقات متتابعة الا ان المصريين لم يقابلوا تلك الحركة
كمن تاثر بل لبثوا ينظرون تقدم العدو اكثر فاكثر وعند ذلك
اخذ ابراهيم باشا يفتقد الصفوف ويجول بين العساكر ويطوف
ويشجعهم بالكلام ويحرضهم عَلَى الثبات والاقتحام ثم سار الى
جهة اليمين نحو بئر هناك قديمة السنين ليقف عَلَى حركة جيش

الاعادي ومعه الف وخمساية من العرب الهنادى وجماعة من اعوان حربه الذين كانوا يغزون بقربه فلما وصل اليها واشرف عليها اتفق ان شقت حجب الضباب وزال قتم السحاب فامكنه حينئذ ان يرى جميع الجيوش السلطانيه ويتامل حركاتهم الحربية وكان جيش فرسان الاتراك قد انفصل عن المشاة وتقدم للعراك املاً ان يفوز بالفخر والسطوة واصبح بينه وبين جانب الجيش الايسر نحو الف خطوة فعزم ابرهيم باشا من غير تباطي ان يدخل بينهما بالجيش الاحتياطي وامر البدوان يتقدم عَلَى الاثر ليقفوا عَلَى حالة ذلك العسكر فساروا قليلاً ولم يلبثوا طويلا حتى رجعوا منكسرين ومن كل الاعداء متشتتين فامر حينئذ جيش الفرسان وجيش الاحتياط والمشاة من الشجعان ان يتقدموا امام العسكر ويهجموا عَلَى جناحي العدو الايمن والايسر فاندفعوا جميعاً كالسيل العرمرم ونزلوا عَلَى الاعداء نزول القضاء المبرم وقد دانت عليهم الاجال في بلوغ الامال فصدمتهم الاعداء صدمة تزعزع الجبال وترد اسود الدحال عن حماية الاشبال وفي الحال اشتد القتال وتعاظمت الاهوال وتكبكبت روؤس الابطال في ساحة المجال وجرى الدم وسال وتفطرت مهج الرجال ودار بهم ملك الموت من اليمين والشمال وكانت طلقات البنادق والمدافع ترج الارض كالزعازع ومهاجمات الرجال والفرسان وحر الضراب والطعان يحرق الارض

فتطير حصاها شراراً ويصعد غبارها دخاناً وناراً وكان جيش الاتراك يحاول مع شدة العراك ان يخرق صفوف المصريين ويشتتهم ذات الشمال وذات اليمين ولكنهم ثبتوا ثبوت القلاع وامتنعوا عليه اشد امتناع فكان العدو لا يستطيع ان يحارب كمحاربتهم ولا يامن على السلامة من مقاربتهم ويمكننا بان نقول ان كلا من الفريقين قد فعل في صفه ما يعجز القلم عن القيام بحق وصفه فكان الرجال يهجمون عَلَى الابطال والابطال عَلَى الرجال وكثيراً ما يلتحمون اختلاطاً في ضيق المجال فيراهم الناظر كخيالات سوداء يقطر الدم منها تدرعت من العجاج بعد ان تمزقت اثوابها عنها وكان صوت البارود يزيد اصواتهم ارعاداً ودخانه يزيد الوانهم سواداً حتى تجسم الويل للابصار واشتدت ظلمة الليل في وسط النهار ومما كان يزيد فظاعة ذلك المنظر المخيف دوي الحرب العنيف وتراكم ذلك الضباب الكثيف الذي كان لم يزل يحجب بعضهم عن البعض فيلتطم الجحفل بالجحفل وينصرعون جميعاً الى الارض وقد تفطرت اكباد تلك الجبال وتمزقت احشاء تلك السهول والتلال من صرخات المتوجعين وانات الكراديس المقتولين وقاتل المصريون فى ذلك النهار قتالاً يحير الافكار ويذهل العيون والابصار وكان بطلهم ابرهيم وسيدهم العظيم يجري بينهم اسرع من النسيم وهو يهون عليهم الاهوال ويحرضهم عَلَى الثبات

والقتال ويقتحم بنفسه احياناً اشد المخاطر ويفعل ما لا يفعله اشجع العساكر بهجومه عَلَى الكتائب والمواكب وعدم اكتراثـه بالاهوال والنوائب حتى يخيل لجنوده انه لم ينظر المدى او لم يعرف الموت والردى وبينما كان القتال هكذا شديداً تقشعر منه الابدان ولو كانت حديداً اظهر المصريون الشجاعة والثبات وهجموا عَلَى اعدائهم من ثلاث جهات غير مبالين بالمخاطر والافات وحكموا حرابهم في الصدور والهامات فلما نظر الاتراك الى جلاد المصريين وثباتهم وشدة هجماتهم ووثباتهم قطعوا من سلامتهم الامل وايقنوا بالهلاك وحلول الاجل فركن بعضهم الى الانهزام بلا ترتيب ولا انتظام فكانوا يتقلبون في تلك القفار كما تتقلب الامواج في لجج البحار وبينما هم كذلك اذ صدمهم الاسد الفاتك والبطل المعارك الذي اشتهر بالشجاعة في الوقائع والمعامع احمد باشا المنكلي بالالاي الرابع فاراهم العجائب وفعل بهم الغرائب فخافوا من هول البلاء وارتدوا راجعين الى الوراء حتى وقعوا عَلَى باقي اصحابهم وهم يرون الموت قد احاط بهم فاختبط جيشهم طوله بالعرض وامسى لشدة الارتباك بعضه يصدم البعض وحينئذ اشتد الويل وازدحمت الرجال بالخيل حتى كانت لهم ساعة تحزن الناظر وتوجع القلوب والضمائر لا يستطيع القلم ان يصفها ولا من يشاهدها ان يعرفها

واما الصدر الاعظم فانه لما راى ذلك الخطب العرمرم عظم الامر عليه واسودت الدنيا في عينيه وخاف من الهلاك والعطب وعلم انه ان ولى وهرب وقع تحت الملام والعتب فلم يجد اوفق من القتال والثبات في مواقف الاهوال فتقدم الى قدام بهمة واهتمام واقتحم معركة الصدام عازماً عَلَى ارجاع النظام وتجديد الحرب والاقتحام بعد ذلك الفرار والانهزام وكان قد قتل تحته في ذلك اليوم ثلاثة احصنه وتجرح الرابع في عدة امكنه فجعل يجول بين العساكر كأنه الاسد الكاسر حتى وصل الى الالاى الخامس والتاسع والسابع عشر الذين كانوا من المشاة وامسوا في حالة الخطر فبينما هو يجول من خلف وامام وينشطهم عَلى الهجوم والاقتحام اذ لمحه ضابط من ضباط المصريين فعلم من ملبوسه الثمين انه من اكابر القواد الذين عليهم الاعتماد فأمر بعض البدو ان يلحقوا فلحقوا به وضايقوه وسدوا في وجهه طرق الخلاص وهموا ان يطلقوا عليه الرصاص فاشار عليهم ان لا يفعلوا واوقفهم عما عولوا ثم اعلمهم بحاله خوفاً من حلول المنيه وانه الصدر الاعظم وقائد الجيوش السلطانيه فحينئذ تركوا بنادقهم وتقدموا اليه واخذوا سيفه وسلاحه وكل ثمين عليه وفي الحال جاء سليم بك قائد الطوبجية واحمد افندي ياور ابراهيم باشا في الامور الحربيه واخذوه من ايدي البدو بكل احترام واعتبار الى مولاهم ابراهيم باشا

الباسل القهار وكان قد مضى لهم ساعتان في الحرب وشدة الكفاح والطعن والضرب من حينما اسروه الى ان اتوا به الى مولاهم واوصلوه فالتقاه ابراهيم باشا بالوقار ومزيد الاعتبار وبالغ في اكرامه وشيعه بخفر يليق بشخصه ومقامه واوصى خفره ان يوصلوه الى قونيه بالتجيل والتكريم وينزلوه في الدار التي هو فيها مقيم هذا وان نار الحرب والجلاد لم تزل بمزيد ازدياد اذ الاتراك كانوا لشدة بلاهم لم يعلموا بأسر مولاهم ومع ما كان من انهزام الصفوف تمكن قوادهم من ارجاع الباقين الى انتظام المألوف فثبتوا بالعزم القوي وهجموا عَلَى المصريين عَلَى هيئة الخط الملتوي ليحيطوا بهم من ثلاث جهات ويقطعوا خط اتصالهم بقونيه ويرموهم بالشتات عَلَى انهم لو تمكنوا من ذلك لرموهم بافظع المهالك وكسروهم كسرة هائلة وخسروهم اتعابهم سنة كامله بحيث لا يعود يمكنهم الثبات ولا تعويض ما فات وشرع الاتراك عَلَى هذا العزم يتقدمون وكانوا يأملون انهم بحركتهم هذه ينجحون فثبت جناح الجيش المصري ثباتاً يقضي بالعجب ومستحق ان يدون باحرف من الذهب اذ عَلَى ذلك الثبات والصبر يتوقف النصر والكسر فلما راى الاتراك ثبات المصريين استبعدوا النجاح وولوا منهزمين فتبعهم الفرسان والابطال من اليمين والشمال وانزلوا بهم من الاهوال ما يقصر عنه المقال واخذوا منهم نحواً من ثمانية الاف اسير وستة

وخمسين مدفعاً بين صغير وكبير وكسبوا اعلامهم وراياتهم وجميع
ذخائرهم ومهماتهم بل كسبوا منهم ما لا يحصى وغنموا ذخائر
وصفها لا يستقصى وقد قتل من الاتراك في ذلك اليوم المهول
خمسة آلاف رجل وفقدوا مثلها من الخيول وتركوا ضعفها مجاريح
منطرحة في تلك السهول واما خسارة المصريين فكانت ثمانمائة
وخمسين ومن المجاريح الفا وعشرين وكان ابتداء القتال بين العسكرين
من بعد الظهر الى ما بعد المغرب بساعتين فاستمر نحو سبع ساعات
ونصف علَى ما سبق من التفصيل والوصف وبعد ذلك رجع
الجيش المصري الى قونيه ظافراً منصوراً وغانماً موفوراً فدخلها
على ثلاث ساعات ونصف من المساء وهو سكران بخمرة النصر
على الاعداء ولما عاد ابراهيم باشا الى منزله في سراية قونيه اراد
ان يرى الصدر الاعظم مرة ثانية فاتى الغرفة التي كان انزله بها
ذلك اليوم فوجده راقداً مستغرقاً في النوم فايقظه بكل لطافه
ووقار وسأله بكل رقة واعتبار ان يحضران شاء الى ديوانه ويستأنس
به وباعوانه فنهض وتبعه بالعجل وهو في غاية الخجل ولما بلغا
المكان ودخلا الديوان اعطاه ابراهيم باشا المحل الاول ليجلس به
وجلس هو بقربه وكان يعامله معاملة حسنه ويعتبره كاول رجل
من وزراء السلطنه ويحتفله احتفالاً زائداً اعجب به كل من
كان شاهداً ثم امر ابراهيم باشا بالقهوة ان تحضر ولما احضرت

ابى ان يشربها محمد رشيد واعتذر وقد زاد قلقاً وغماً وخاف ان تكون ممزوجة سماً وطلب عوضها شربة من الماء لانه كان في غاية الظما فامر ابراهيم باشا ان يأتوه بكاس شربات فقال اني افضل الماء على جميع المشروبات فانتهر ابراهيم باشا رئيس السقاة وقال احضر كأس شربات بدون امهال فاذ ذاك لم يعد محمد رشيد يجد بدأً من القبول بعد ذاك التشديد ولما ملأ الساقى الكاس واتى بها كان محمد رشيد يتمهل عن اخذها وشربها فمد ابراهيم باشا يده بسرعه وشرب منها قسماً كبيراً من اول جرعه ثم قال له خذ ولا تسىء بنا ظناً فأخذها وشربها مطمئناً

## الباب التاسع

### في عقد الصلح مع الدولة العليه والحكومة المصريه ورجوع ابراهيم باشا الى سوريه

وكانت هذه الكسرة القويه قدوصلت اخبارها الى القسطنطينيه بسرعة كليه فخافت جميع الاهالي واضطرب الباب العالي ولم يعد يمكنه بعد تلك الحال وفقد المهمات والابطال الا التسليم للقضاء واختيار الذي يغلب الرضى ففكر رجال الدوله فيما يجبر الخلل فلم يجدوا اوفق من الصلح في نجاح العمل ولكن كانوا يريدون حسم الداء وتسكين تلك الداهيه الدهماء على طريقة مناسبة مرضيه بحيث لا تضر بالدولة العليه فطلبوا اذ ذاك من فرنسا توسط

الحال ورفع الحرب والقتال فاجابتهم الى ذلك السوال وبعث وكيل سفارتها البارون دي فارين الذي كان من اذكى رجال السياسة المعتبرين بالرسالة الاتية الى ابراهيم باشا صاحب الهمة السامية

حضرة صاحب القدر الشامخ والمقام الباذخ

انه لمن واجباتي ان اخبركم بان الباب العالي لما كان يحب ان يضع حداً للحرب القائمة التي تجلب الدمار وتخرب الديار فقد بعث بخليل باشا الى الاسكندرية وفوض اليه امر ايجاد علاج للخلاف الحاصل وتسوية نهائية مع حضرة صاحب السمو محمد عَلَى باشا والدكم المعظم واذ كان هذا المشروع ناشئاً عما كلفت تبليغه من جانب الباب العالي الى حضرة صاحب السمو والدكم الماجد رايت انه من الفرض الواجب علي ان اعلمكم به وانا بصفة كوني وكيل دولة هي ولو لم تكن تتمنى عَلَى الدوام الانجاح ونمو السلطنة العثمانية لها ايضاً امانة كلية في الحضرة الخديوية ولذا تفوض الي ايضاً ان اخابر مع سموكم بتوقيف الحرب والقتال وبناء عَلَى ذلك قد حررت لكم هذه الرسالة راجياً بعد ان تكونوا وقفتم عليها لا ترون مكاناً لمداومة اسباب النزاع والعداوة التي غائلتها اللوم والعار والمسئولية عَلَى مسببيها وربما منها تتولد الصعوبات التي تحول دون المقصود فتمنع انهاء الخلاف المباشر فيه فاذا تقرر

فلا غرو انكم تحلون تقريري هذا محل الصدق والصواب وتتوقفون عن التقدم الى امام وتصدرون اوامركم الى قواد جيشكم بالتوقف والتاخير وانى لمعتقد اعتقاداً جازماً بان سموكم ترغبون القاء السلامه والتامين ولا ترضون بما يناقض ذلك فارجو متى وقفتم عَلَى كتابي هذا ان تكونوا عَلَى يقين مما تضمنه من المقاصد السليمة وها انا بانتظار افادتكم التي ستشرفوني بها صحبة ناقله وقد اغتنمت هذه الفرصة لاقدم لسموكم خلوص حاسياتي واعتباري التام

وكيل سفارة دولة فرنسا لدى الباب العالي     الامضا

البارون دي فارين

من ترابيا في ٩ خلت من شهر كانون الثاني سنة ١٨٣٣

فلما وقف ابرهيم باشا عَلَى هذا الكتاب وقراه واطلع عَلَى فحواه اجابه بما معناه انه لما لم يكن الا قائداً للعساكر المصرية فلا يمكنه الا ان يسلك بحسب الاوامر الخديوية وبناء عليه ليس بوسعه ان يتوقف ويضيع الفرصة ثم حمل الصدر الاعظم ان يعلم الدولة بتقدمه نحو برصه وذلك ليس عَلَى نية حرب ولا جلاد وانما جل القصد والمراد هو لداعي هجوم الشتاء ودخول فصل البرد وعدم وجود ما يسد به احتياج الجند ثم ارتحل من ذلك المكان بالرجال والفرسان في التاسع والعشرين من شعبان وعند وصوله الى كوتاهيه ارسل له البارون دى فارين رسالة ثانية يطلب اليه

ويشدد عليه ان يتوقف في مكانه برجاله وفرسانه ولا يعود يتقدم ولا خطوة قدم الى ان ينتهي الحال ويرتفع النزاع والجدال على طريقة مرضية للحكومة المصرية والدولة العثمانية وكتب ايضاً الى الحضرة الخديوية يعلمها بهذه القضيه مشدداً على جنابها الشريف ان تامر ولدها بالتاخير والتوقيف فلما وقف ابرهيم باشا على هذه الرسالة واطلع على ما تضمنته من المقالة اجابه بهذا التحرير وكان ابوه قد امره ان يتوقف عن المسير

حضرة صاحب المقام السامي حليف الشرف وافخار محبنا وصديقنا البارون دي فارين لقد حظيت برسالتكم الودادية التي بعثتموها الي بتاريخ ١٠ رمضان سنة ١٢٤٨ و ٢٩ كانون الثاني سنة ١٨٣٣

ووقفت على ما تضمنته من المحبة والخلوص ثم انني قبل ان اسير من قونيه قد عرفت الباب العالي بواسطة الصدر الاعظم ان الذي حملني على الخروج من قونيه والتقدم الى برصه لم يكن الا داعي عدم وجود ما يسد احتياجات الجيش وقدوم فصل الشتاء البارد ونقصان الحطب وان لم يكن لي ادنى قصد في حركتي الا السبب الذي ذكرته فاذا تقدمي كان من هذا القبيل واذ قد وصلت الان الى كوتاهيه ووجدت فيها ما يكفي ويقوم باود الجيش فقد صممت على الوقوف هنا امتثالاً لاوامر والى وولي

نعمتي الى ان ترد لي منه افادة جديدة في هذا الشان وانني ساعلم
الباب العالي ايضاً راجياً ان اكون قد وفيت بمرغوبات سعادتكم
الوداديه التي يسرني جداً ان اقوم بايفائها وانني انتهز هذه الفرصة
لا تفحص عن عزيز سلامتكم

من كوناهيه في ١٥ رمضان سنة ١٢٤٨ الامضا

ابرهيم

وكان ابرهيم باشا قد اطلق سبيل الصدر الاعظم فعاد الى الاستانة وكانت الدولة سمت امين رووف باشا صدراً اعظم مكانه ولما كان اليوم السابع عشر من شباط سنة ١٨٣٣ مسيحية قدم البارون دوسين سفير فرانسا الى القسطنطينية فمثل امام حضرة السلطان وتخابر معه بهذا الشان ووعده بانهاء الخلاف علَى اي وجه كان وارسل الى الحضرة الخديوية برسالة ودادية يطلب منها ترجيع الجيوش المصريه الى بلاد سوريه

وهذه صورتها

حضرة صاحب السمو والمقام العالي

لا يخفى عليكم المركز العسر الذي بات فيه الباب العالي من جرى نجاح ولدكم ابرهيم باشا حتى انه اضطر اخيراً ان يقبل مساعدة دولة روسيا التي كانت قد عرضتها عليه ولما بلغه اخيراً حسن نواياكم وميلكم الى فصل الخلاف طلب توقيف تلك المساعدة

ولكن لسوء الحظ تاخرت الافادة فوصلت العمارة الى البوسفور والان
قصدي ان احملكم على قبول ما عرضه عليكم خليل باشا معتمد
الباب العالي من باشاوية عكا وبعض اطراف سوريه لكي توفروا
اسباب نزع السلام ليس في الشرق فقط بل في الغرب ايضاً
لان ذلك اصبح يضر بمنزلة اوروبا وبصوالحنا ايضاً فاذاً ارجو
سموكم ليس فقط من اجل صوالحكم الخصوصية بل من اجل
سلامتكم وامنكم الذاتي ايضاً ان لا تتصلبوا في عزمكم او ان
تسحبوا عساكركم من الاناضول حالاً والا فبمزيد الاسف اقول
لسموكم انكم اذا كنتم لم تزالوا مصممين عَلَى عدم التوقف
تحملون دولتي عَلَى ان تمد نحوكم ذراع العدوان الامر الذي لا
ترضاه وانا قد تعهدت للباب العالي بذلك اذا اقتضته ظروف
الحال ودولتي لا يمكنها الا ان تنفذ ما قد تعهد به وكيلها المطلق
وان تكونوا عَلَى يقين مما تضمنته رسالتنا من المقاصد السليمة
وسموكم تعلمون ما بين دولتي وبينكم من الوداد ومراعاة الخاطر
فلا تحملونا عَلَى ان نخالف ظننا بمقاصدكم الساميه ومن طيه تجدون
صورة الرسالة التي بعثت بها الى جناب ولدكم الامجد هذا وانني
اغتنم الفرصة الثمينة يا صاحب القدر والفخر لاوكد لسموكم اعتباري
التام

الفيس اميرال سفير فرانسا لدى الباب العالي

من ترابيا في ٢٢ شباط سنة ١٨٣٣

الامضا

البارون دوسين

فاجابه الخديوي الاعظم والداودي الاكرم الافخم بما ملخصه
وصلتني شقتكم الرسمية بتاريخ ٢٢ شباط سنة ١٨٣٣
وفهمت مضمونها اما قولكم انه ليس لي حق ان اطلب
اكثر من باشاوية عكا وبعض اطراف سوريا وبناء عليه يجب ان
اخرج عساكري من الاناضول بدون ادنى عاقه ثم تهددني ان لم
افعل ذلك فهلا يا جناب السفير المحب باي حق تطلب مني ذلك
الم اغلب او لم اكن قادراً ان اغلب بعد فكيف تكلفوني ترك
حق كهذا غير اني ارجو ان مقاصدنا ونوايا دولتكم الفخيمه لا
تريد مني ذلك ولا تحوجني اليه بل تعاملني بالعدل والانصاف
وانني اقول ثانياً انني قد غلبت وظفرت وقد يحق للغالب ان
يضع الشروط وليس للمغلوب وانني لا اتنازل عما قد طلبته من
معتمد الباب العالي واذا اقتضت الحال فاني مستعد ان لا اعيد
السيف الى غمده قبل ان انال المقصود او اموت شريفاً بين
جيشي وامتي وانى ياجناب السفير اعتقد اعتقاداً جازماً بعدالتكم
وجودة تدبيركم ولذا ارجو ان تصادقوا على تصرفي وان تسندوا
لدى الباب العالي مطالبي التي بلغتها الى خليل باشا والسلام
احسن ختام انتهى ملخصاً الامضا

محمد علي

من الاسكندرية في ٨ خلت من آذار سنة ١٨٣٣
ولما بلغت هذه الرسالة السفير المشار اليه واطلعت الدولة عَلَى ما احتوت عليه لم تجد بدًا من ملافاة الامر واخماد ذلك الجمر عَلَى طريقة مناسبة خوفًا من العاقبة ففوضت البارون دوسين بفض هذه القضية وانها تتنازل للحضرة الخديوية عن جزيرة كريت وسوريه وتسلم مقاليدها للحكومة المصرية فارسل البارون دوسين البارون دي فارين في التاسع والعشرين من آذار الى كوتاهيه وتلك الديار لكي يتخابر مع ابرهيم باشا بهذا الصدد وعند وصوله الى ذلك البلد التقاه ابرهيم باشا بالترحيب والتكريم واحتفل له الاحتفال العظيم وبعد اقامة فروض الواجبات دارت بينهما المخابرات فطلب ابرهيم باشا علاوة عَلَى كريت وسوريا ولاية اذنه لما كان البارون المشار اليه مفوضاً اليه التفويض التام من طرف السلطان سلم له بهذا الطلب حسماً للنزاع والتعب وتحررت شروط العهدة في الثامن من نيسان والسادس عشر من ذي القعده فأمضيت من الطرفين وصادق عليها كل من الدولتين وهكذا انتهى الحال وارتفع النزاع والجدال وخمدت نار الفتنة بعد الاشتعال ورجع ابراهيم باشا الى قطر الشام بالعز والاحترام بعد ما بلغ المرام واطاعه الخاص والعام ووقعت هيبته في قلوب الانام فدارت بقدومه البشائر وقامت الافراح وابتهجت العشائر

# الباب العاشر

## في ذكر من قدم علَى ابراهيم باشا من شعراء العصر وقدم له المدائح والتهاني في نوال هذا النصر

فلما قدم ابراهيم باشا الى قطر الشام قصدته شعراء الزمان من كل جهة ومكان وقدموا له المدائح والتهاني فمنهم الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني شاعر زمانه وعلامة عصره واوانه فقال يمدحه بهذه القصيدة ويهنئه بتلك الانتصارات السعيدة مستفتحاً بذكر حضرة الخديوي صاحب الاوصاف الحميده

يا فاتح القطرين انت محمد ... هل دون فتحك في البلاد مسدد

انت العلي كما يقال ونسله ... منك المعالي لم تزل تتولد

سدت البلاد بهمة نبوية ... فالارض دارك والخلائق اعبد

واتيتنا باسم النبي وصهره ... وغزوت غزوهما علَى ما نعهد

جبل بمصر الى الحجاز وظله ... لحق الشام وظل منه الابعد

لو كنت تنهر ارضهن تزلزلت ... ولو ازدجرت النيل اوشك يجمد

يا سيداً عرف اسمه بالرفع لا ... بالخفض والتنوين انت المفرد

بك يستعين الجيش حيث رميته ... بدرا واياك الصوارم تعبد

لما بعثت من الكنانة سهمها ... حلفت عليه انه لا يصرد

ما زالت النار التى وقدت له ... برداً عليه وناره لا تبرد

من مثل ابرهيم الا سيفه — يوم الكريهة والقنا المتأود
كالسيف الا انه لا يتقي — حذراً ويحسب انه لمخلد
ملك يخاف الله ليس بحاسد — وتخاف سطوته الملوك وتحسد
يا ايها القمر الذي من حوله — شهب الصواعق والسحاب الاسود
ارأيت ما اجرى عداتك همة — سبقوا ولكن في الفرار واجهدوا
ولى العدو يكاد يسبق مهده — ويود لو اكل الطريق فينفد
اخذ الصحابة بعضها وتخلفت — منها رجال في البقيعة مسجد
لو كنت تصغي لاستمعت نوادباً — في الترك تندب اهلها وتعدد
ارسلت قبل الجيش جيش مهابة — جيش العدو لهوله يتردد
فاثبت مكانك وابعث اسمك بعدها — وكفى القتال به وانت موسد
ولقد ضربت حصون عكاء التي — كانت لهيبتها الفرائص ترعد
الله اكبر ليس دونك قلعة — تحمى ولا حصن اشم ممرد
خافت جبال الارض منك وقدرات — هذى الفعال بمثلها تتردد
وتحصنت منك الاسود فلا تلم — قوماً باغلاق الحصون استنجدوا
اسألت عبد الله اين قلاعه — ورجاله وفؤاده المتوقد
امسى يشدد قومه فغدا ومن — لفؤاده بفتى تراه يشدد
لما مررت به اسيراً خاضعاً — خشعت له ابصار من يتفقد
لا حد دونك في المكارم والعلى — وعسى البقاء عليك ليس يحدد
فالظلم الا عن طباعك يتقي — والعود الا عن جنابك احمد

وقال ايضاً موءرخاً فتح عكا

في فتح عكا برد نار معاطب     دار الخليل وللديار به البكا
راس الثمان واربعين بطبه     ميتان مع الف فبارك ربكا

سنة ١٢٤٨

وكان قد اقترحهما عليه الامير بشير ليقدمهما الى مقامه الخطير وهما يتضمنان ثمانية وعشرين تاريخاً عَلَى وجه غريب واسلوب عجيب وذلك يحصل من كل شطر من اشطرهما عَلَى طريق حساب الجمل ومن معجم كل بيت ومن مهمله ومن جمع ما في كل شطر من المعجم مع ما في غيره من المهمل جارياً في ذلك عَلَى الطرد والعكس في الحروف والشطور بين تقديم المهمل تارة وتأخيره اخرى والمخالفة بين الاعجاز والصدو وذلك من الطرف المبتكرة في هذه الصناعه والتاريخ الناطق لفظاً في مثل هذا مما يدل عَلَى تمام البراعه وممن قدم له التهاني في هذه الفتوحات السعيده والانتصارات المجيده الاديب الفاضل والحاذق الكامل اللوذعي الذكي الشيخ امين الجندي فانه مدحه بموشحات باهره وقصائد نفيسة فاخره منها قصيدته اللاميه التي ذكر فيها فتوحاته الشاميه وهي من ارق الشعر والطفه واجود النظم واظرفه كثيراً ما تلهج الناس بأيرادها وتعتني في غالب الاوقات بانشادها

ومطلعها قوله رحمه الله تعالى

عرج اخا البأساء نحو بني العلا ... والثم ثرى اعتابهم متذللا
وابسط اكف رجاء كسرك عندهم ... واجر الدموع على الخدود توسلا
ودع التعجب من شجاعة من مضى ... من قبل واترك عامراً ومهلهلا
وزن الرجال فان في افرادها ... من لا يزان بالف ليث في الملا
ان قيل ابراهيم جاء محارباً ... سقطوا وان كان الكلام تقولا
هو سيد الوزراء درة عقدهم ... واجل من بالمكرمات تسربلا
في حكمة ترعى الضوارى والظبا ... وبعدله اضحى الزمان مجملا
فاق الاوائل سودداً ونخامة ... وسما الاواخر رفعة وتفضلا
كم منكرات قد ازال وجودها ... عنا وكم من باطل قد ابطلا
لا عيب فيه سوى الثبات وانه ... يلقى الكتيبة وحده والجحفلا
ذو همة علوية لو صادمت ... في الحرب طوداً شامخاً لتزلزلا
قامت قيامة عكة من بأسه ... واحاط من كل الجهات بها البلا
بمدافع ما ان لها من دافع ... وقنابل تحكي القضاء المنزلا
تنسيك بدراً والنضير وخيبراً ... وحروب مكة والبسوس وكربلا
لو شام حر لهيبها اسكندر ... لاندك محكم سده وتفصلا
ووزيرها المدعو بعبد الله قد ... امن الردى ولارض مصر ارسلا
والى دمشق الشام سار بهمة ... ومواكب وكتائب لن تصطلا
برزت جميع جنودها لقتاله ... فهناك جد بفتحها واستعجلا

حتى اذا طلبوا الامان اجابهم | واْنال كلاً منهم مـا املا
وسرى الى حمص ليقمع من غدا | في مالها وعقارهـا متخولا
وبها العساكر والدساكر قد حكت | قطع الظلام اذا بدا متنصلا
زحفوا اليه كالجراد فادبروا | لما راوه كالسمر مقبلا
ذهلوا بصاعقة المدافع فانثنوا | يترقبون الى السلامة منزلا
فترى الكماة ممددين عَلَى الثرى | والخيل من وقع القنابل جفلا
والى حماة الشام سار وبعدها | لمعرة النعمان يخترق الفلا
حتى اتى حلباً فلم ير منهم | الا طريحاً او جريحاً مبتلى
اضحت طعاماً للطيور لحومهم | ودماوءهم للمشرفية منهلا
والعز في العرب استنار مناره | ببزوغ شمس مراحم لن تأفلا
فاقام في تلك الرحاب ولم يزل | بالعز مرفوع الجناب مبجلا

ومنهم العالم العلامه والاديب الكامل الفهامه المعلم بطرس كرامه فانه مدحه بهذه القصيده الباهره والخريدة النفيسة الزاهره معرضاً بها بمدح جناب ابيه المعظم

عزيز مصر القاهر

فتح به الفتح القريب موءكد | وكواكب النصر المبين توقد
والدهر بعد الغدر اصبح وافياً | يثني عليه بالجميل ويحمد
والعز اشرق في الديار مبشراً | دنت العلى والسعد جاءَ يغرد
ما المجد الا بالحسام ولم يدم | شرف الفتى ما لم يصنه مهند

يا يوم عكة لم تدع ذكراً لما | عبر الزمان به وما يتجدد
يوم به الحرب العوان تضرمت | بقنابل مثل الصواعق ترعد
رجمت بشهب كراتها الاسوار من | لهب فدك الشامخ المتوطد
ورمت بصدر بروجها قلل القضا | تلك المدافع فهي طوعاً تسجد
فتمال والهيجاء تلهب حولها | نار الجحيم بجوها تتصعد
سبقت اليها الصبح اسد عرينة | وبغير صبح حرابهم لم يهتدوا
من كل اروع قد تعود في الوغى | اخذ الكماة وما يقول السيد
وتراه يبسم للكفاح كانما | ورد الحمام لديه نعم المورد
وثبوا عَلَى الاسوار ثم تسنموا | الابراج والسيف الصقيل مجرد
وتجلد القوم العداة وانما | لم يجدهم عند العراك تجلد
نثروا جماجمهم ولم يمنعهم | من سيف اجناد الجهاد مشيد
وجرى النجيع عَلَى الطلول تخضبت | كف المعالم والصعيد مورد
امست خلاء قد تحمل اهلها | وبذاك خيرها الغراب الاسود
مهتوكة الاسوار تشقى بعد ان | كانت في الحصن المنيع المسعد
عذراء تخطبها الملوك ولم تزل | بكراً اليها قبل لم تمدد يد
حتى اتى وافتض منعة عزها | بحسامه اسد ابوه محمد
مولى تعود فتح كل محصن | والمرء مشغوف بما يتعود
سل اهل نجد والحجاز وسل بني | قحطان عنه والفوارس تشهد
فتح المعاقل والحصون وقادها | بمواقع تذكارهن مخلد

سعدت به هذي الديار واخصبت … وباهلها تشقى الديار وتسعد

شهم لو اسم ابيه يتلى في الوغا … لتفرقت اعداؤه وتبددوا

واذا تعاظمت الامور فلحظة … منه تحل بها الامور وتعقد

لولاه ما سار الحجيج ولم يفز … بزيارة البيت الحرام موحد

امر الزمان بان يسالم اهله … فاطاعه فيما يروم ويقصد

فاضت يداه بالنوال سحائباً … هتانها صافي اللجين وعسجد

ملك تتوج بالمحامد والثنا … وبصارم النصر المديد مقلد

ولقد غدا بين الملوك محمداً … وعلي شأن فضله لا يجحد

ولما اراد الله من شرف به … باسمين سمى وهو نعم المفرد

ذو همة لا منتهى لمرامها … وعزائم ترقى السماك وتصعد

ويجل قدراً ان يقال غضنفر … عنه فكم ليث لديه مجمد

وانارت الامصار شمس علائه … فغدت تسبح عدله وتوحد

لا تجزعي يا عكة من ذا البلا … وتصبري فاليوم يعقبه غد

وخذي لك البشرى فكف نواله … ستعيد حيك للحياة وترفد

ويفيض من مصر عليك جماله … فيجود ربعك بالسرور ويعضد

اقسمت بالشرف الرفيع ومجده … وبجود كفيه ولست افند

لو ان تقام الفاخرات مدائحاً … منظومها بالزاهرات منضد

لم تحص مدح ابي الخليل وانما … بمديحه حلى النظام المنشد

لا زال مسعوداً يصاحب جيشه … نصر من الله عليه مؤبد

وبفتح عكة سيف ابراهيم قد　　قال المؤرخ ظافر ومؤيد

فأجزل جوائزهم واحسن اليهم وافرغ حلل اللطف والاحسان عليهم

قلت وقد تقدم البيتان اللذان اقترحهما الامير بشير عَلَى الشيخ ناصيف ليقدمهما الى مقامه السامي المنيف فلما بلغاه تحركت منه العواطف الادبيه واخذت بعطفيه هزة الاريحية لما كان منطبعاً عليه من حب الفصاحة والادب وذلك عَلَى جمعه بين السيف والقلم شاهد عجب فارسل يطلب من الشيخ المذكور قصيدة عَلَى نسق قصيدة السيد شاكر النحلاوي التى مدح بها الشيخ عبد الغني النابلسى فنظم القصيدة الاتية وقد اودع كل بيت منها تاريخين وافتتح صدورها بحروف اذا جمعت اعربت عن هذين

البيتين

انت الخليل وفي الاطلال برد لظى　　اطلال عكا ورفض الرعب والحذر

١٢٤٨　　١٢٤٨　　١٢٤٨　　١٢٤٨

كن بالغاً اوج سعد ما به ضرر　　او غالباً لم يزل في اول الظفر

١٢٤٨　　١٢٤٨　　١٢٤٨　　١٢٤٨

وهما يتضمنان ثمانية تواريخ في كل شطر تاريخان كأنهما فرقدان نيران

واما القصيدة فهى قوله

ازهر تبسم نوراً عن اقاحيها　　اذا بكى من سحاب الفجر باكيها

نور الاقاحي الذي ما بالحياء به　من صحة وصفاً عز منشيها
تلك الربوع لليلى اين مربعها　عن قصده وسيوف العرب تحميها
ادماء تجني عَلَى الاكباد قاسطة　تبارك الله ما احلى تجنيها
ليلى ولى شوق قيس في محبتها　فشعره لجنون شاءه فيها
خال لها عمه ورد بدا حرماً　في وجنة حميت عمن يدانيها
لله مقلتها السوداً صائدة　قلوب عاشقها والقرط راعيها
يقول قومي رويداً قد سقمت هوى　فقلت مهلا فائي من ذ اسيها
لعل صافى نسيم من خمائلها　اتى يهب عَلَى روحي فيشفيها
وبي رفاق ليال في النقاء وفت　يض اللقاء فما اهنا لياليها
في جنة حورها تزهو بنا وبها　لو كان يصفو خلود ي روابيها
يهزني ذكرها وجداً فاعلمه　جرحاً وروحي تراه من مجانيها
اسأت كتم الهوى والصب كيف له　ستر وادمعه قد دل واشيها
ليس الهوى بخفي عند وادعه　فكيف ناشره يطويه تمويها
استودع الله صبراً ما امارسه　ومهجة عن حسان لست احميها
طاب الهوى والضنى واللوم لى قدمي　اسر في بذله في حي اهليها
لبيك يا لحظها الجاني عَلَى كبد　سالت اسى في الهوى لولا تاسيها
ان تعف طوعاً فان العفو لي ارب　اولا فريحان روحي في تقاضيها
ليت الصبا عاد لي بعد المشيب عَلَى　شرط الوفا وهو ادنى من تجليها
بكر محجته لا تنجلي لحيا　حتى من النجم حتى ما يلاقيها

راق الدلال لها والذل لي ابداً ... ولم يرق كأس وردي من تدانيها
دمعي ومبسمها الدر الثمين صدى ... لمهجتي فبصبر القلب اروِيها
لما رأت جد وجدي في محبتها ... قامت بسيماء هزل عينها تيها
ظن الجهول الهوى سهلاً لو الجه ... مهلا فقد تاه جهلاً او عمى تيها
يجه غزل عين جاء حانكه ... يحيك برد الضنى حلواً لهاويها
ان العيون التي بانت لطائفها ... لها خفاء معان ليس ندريها
طلاسم سحرها المرموز طالعة ... اشكاله في سطور حار قاريها
لواحظ لحن في زي الحداد لكي ... يبرزن حزناً على قتلي دواميها
الناهبات البواكي المبكيات فقد ... كفت عقول البرايا عن معانيها
لولا سواد لها ما ابيض فودي عن ... شيبي ولا احمر دمعي من تهاديها
حسبي الذي بصدود جاء يامرها ... يجيئه غلطاً هدي فينهيها
كل الجراحات مشفيها الدوا سوى ... جراحها اين حلت فهي مشفيها
الى العيون التي في طرفها حور ... عهد الرعاية رفقاً من محبيها
ويلاه من زيغها داء تطيب به ... فلا شفينا بعتق من دياجيها
روحي وعيني فدى عين مطهرة ... ومهجة للتي بالنفس افديها
فهي الجميلة لكن بين عاشقها ... والصبر جور قبيح من تجافيها
ضاع الزمان وطال الوجد والاسف ... ولم يقصر سباقي في تصابيها
اشابني عتبها قرباً فازهدها ... وعيرتني بشيء جا من فيها
للشيب انفع طب في الفتى نبأ ... بما يوافي وترهيباً وتنبيها

رأس يصفده نامي الصبا عبثاً ... بادهم الشعرة الذاب ناميها
عيش قصير طويل الرعب اعدله ... ما يقصر النفس قرباً نحو باريها
برق المنا خلب الا اقل صبى ... تقر عين به وصداً يسليها
والناس من يشتهى ما المطل حصله ... ومن تقيه عداة نام داعيها
اعوذ بالله من علم بلا عمل ... ومن تدارك نفس كل راعيها
لو امة اوقفتني لا اطاوعها ... ولا يحبب ضعفي ان اعاصيها
حلت لها النار دون العار في دول ... من حاسديها بارض سال واديها
ذرني وما بي هل لوم يلم بها ... وقد مللت ومللت من اعاديها
رماحكم يا كرام الحي لا تقفوا ... ولا ترعكم بلى جدت دواهيها
كل البلايا من الدنيا متى نزلت ... بنا فنيران ابراهيم تفنيها
نار ونور متى قال النزال له ... والجود هات يداً لم يلق ثانيها
بنى من العز بيتاً دون اعمدة ... سوى قناة له عزت مبانيها
اللوذعي العزيز الباسل الملك ... الغازي الملا بيد حسبي اياديها
للسيف والرمح والاقلام قد ولدت ... راحاته ولسوال تفاجيها
غاز مهيب حسيب ماجد نجب ... صافي الصفات نفيس النفس ذاكيها
اقواله خطب افعاله شهب ... آراؤه قضب بالله حاميها
احيى المحامد مفداة مسلمة ... اليس اموا له تفنى وتبقيها
ورد ما مر من عدل الصحابة لا ... يلهو بزهر ولا خمر يعاطيها
جرار خيل يحل الناس جانبها ... والفتح والحتف عدلاً بين ايديها

سل قوم عكاة حين اربد مشرقها — والشام والترك لما اسود ناديها
عبد الخليل لعبد الله صار بها — اسماً وشبه اسمه راحت اساميها
داس البلاد باذن الله يكسرها — وتكسر السيف نزعاً من نواصيها
ماجت سراياه امجادا بساحتها — تبقى وفياً وتبلى من يعاديها
احبب بأصيد تحكي الدهر همته — لكن متى ناب شر من يحاكيها
بعيد قدر عن الامثال ليس له — شبه فما مدحه ما جاء تشبيها
هو الذي حج آل البيت جاء به — بعد الذهاب جلي الطرق جاليها
ضل السعود وهاب السواد فما — اهداه الا ببرق البيض واليها
رسول حق نزال الحرب سنته — وفرضه الجد بالجدوى يواليها
رام للحجاز وسود الزنج ثم رمى — فيها القتال وام الردم يرميها
الله اكبر هذا حال من جلس — الايام فوق سروج الخيل يدميها
والحمد لله لم تقصر بواكره — في ما يقوم ولم تحصر مساعيها
غلاب ناد واجناد يعاهده — نصر قريب على لطف يماشيها
احصى المنى والثنا والحزم والكرم ال — اسنى وآيات عدل لست احصيها
لاعقب الويل مصرا وهو تاركها — هما بجود يديه جاء يغنيها
بحر وبدر وليث لا يرد له — امر وصمصامة سبحان باريها
ابو الفتوحات ام الحرب طاهيها — سلطان ساحات بر العرب واقيها
له البلاد باشخاص العباد بما — اتقى التلاد بما حاطت اقاصيها
محمدي علي شانه كسرت — طوارق الروع باسم منه يأتيها

يايوم عثمان لم يقفل بيا كره الا حفايا ظعون وهو حاديها

زلت به قدم جات به مرحاً فولت القهقرى والجسم ينعيها

لسيف سلطان مصر هيبة لفى ال بلاد حي بها ياسيف غازيها

فاق الثنا انك الدنيا وقاهرها سعداً وحاكمها حقاً وقاضيها

يافاتح المنصب الطاري ندى وردى مَلَى الصدى والعدى يخلى طواريها

اتيت نحوك احيي الليل عن عجل واقتل الخيل جوابا ازجيها

والله يشهد كم ليل مهرت بكم اجلو قيمة در رد جاليها

لم ياتها قبل الا شاكر عجباً وجئت بعد فاهدتني قوافيها

ابقت صداعاً برأس راح يسلبه وحبذا سلب ادواء تداويها

لم الق كفوءاً له ممن رفعت يدي قبلا اليه فلم اهتم تنزيها

ظل البديع لها عبداً يلم بها وكل خطب سليم عند راقيها

فانعم بها وهي فلتنعم بمكرمها جوداً ومعظمها جاهاً ومعليها

راقت كادنى معانيك الحسان فما ايات حق كشطر من مبانيها

سنة ١٢٤٨

فلما وقف عَلَى هذه القصيده الانيقه وتأمل ما فيها من الالفاظ الرقيقه والمعاني النفيسة الدقيقه مع ما انطوت عليه من سلامة التركيب وحسن الانسجام وعددية الاساليب وعَلى ما فيها من الصناعة التاريخيه والالتزامات البديعيه اعجب بها غاية الاعجاب ووقعت عنده موقع الاستحسان والاستعذاب فانفذ اليه

عشرة الاف غرش وخاتماً من الياقوت الفاخر عَلَى ما
اعاده من جميل المكارم وبديع المآثر

## الباب الحادي عشر

في ذكر ما أجراه ابراهيم باشا في بر الشام من الترتيب
والنظام وما اتفق لحضرته في بيروت مع رجل
من ذوي البيوت وحسن معاملته لسيدي
المرحوم الوالد كفاني الله شر العدو والحاسد

ولما استقرت لابراهيم باشا ولاية عربستان نادى بالعدل
والامان وضبط الامور والاحكام عَلَى احسن ترتيب واكمل نظام
واقام شريف باشا حكمداراً عَلَى مدينة دمشق الشام بامر حضرة
الخديوي فخر الانام فعلا في البلاد شانه وارتفع قدره ومكانه
وساعدته الاقدار ودانت له الاقطار واستنار عموم الاهالي بصبح
عدله المتلالي في ظلمات الليالي ومن اعماله المرضيه التفاته الى اخبار
الرعية والبحث عن احوال الاحكام وتصرفات الولاة والحكام بحيث
لا يراعون في الحق اميرا ولا كبيراً ولا صغيراً وكان اذا سافر الى
بلد لا يحب ان يدخله بالاحتفال وكثرة العدد بل متخفياً حتى لا يعلم
به احد ولم يكن يفرق في التأديب بين القوي والضعيف والحقير
والشريف ولا يراعي جانب احد في القصاص ولو كان من احبائه
الخواص ولذلك لم يكن احد من اجناده او اكابر رؤسائه وقواده

يتجاسر ان يحيد عن طريق الصواب بشي من انواع الظلم والارتكاب وهو اول من شرع من الحكام في جمع عسكر النظام في ديار مصر وبر الشام فلم يكن يشكو منه انسان الامن هذا الشان لان اهالي عربستان لم تكن معتادة عليه قبل ذلك الزمان وفي ايامه انتعشت سوريه وتمتعت بالسرور والرفاهيه وذلك باذلاله بغاة الناس وجمعه سلاح الاهالي من جميع الاجناس واقتداره على المفسدين وقتله المردة المعتدين فعمرت البلاد وراجت الصنائع وتأسست المدارس والمطابع واخصبت الاراضي والاقاليم وارتفع حق الارملة واليتيم وكان الناس يهابونه لشدة بطشه وصرامة احكامه ولذلك انتشر العدل والامان في ايامه فان بعض التجار من اهالي المناصف والشحار ذهبوا يشترون غنماً من نواحي حمص وحماه فسطا عليهم قوم من العرب وسلبوا ما كان معهم من الفضة والذهب فحضروا اليه ومثلوا بين يديه وشكوا امرهم لدولته فأمر لهم بدفع المال من خزينته وارسل واحداً منهم من ذلك اليوم دليلاً على اولئك القوم فحصل منهم ما سلبوه من الدراهم وادبهم بالقصاص الصارم فتأمنت الطرقات وتمهدت السبل في جميع الجهات وانقطعت اسباب الفتن والحركات حتى لم يعد احد يتعدى على احد ولو كان من اكابر العمد فكانت النعجة ترعى مع الذئب والخروف يبيت في حصن الاسد وكان مهيباً بهذا المقدار ومشهوراً في جميع

الاقطار حتى اذا ارادت المرأة ان تسكت ولدها الفطيم كانت تهدده باسم ابراهيم وفي تلك الايام اعتز الامير بشير باستبداده وتأبد وطالت يده في ولايته وتشيد حتى كان يحسب ان ذلك الزمان كان اول حكمه عَلَى جبل لبنان مع انه كان والياً في الجبل المذكور منذ خمس واربعين سنة وكسور ولكن كانت يده مغلوله من مناصب البلاد فلم يكن يستطيع ان ينفذ احكامه عَلَى حسب المراد لان مشير الاحكام في تلك الايام كان تارة لا يقدر ان يعطيه قوة ليتقوى عليهم وتارة يستميلونه بالرشوة فينعطف اليهم فلما تولى ابراهيم باشا الذي كانت ترجف الجبال من سطوته وترتعد فرائص الابطال من هيبته انبسطت يد الامير بهيبة هذا الوزير حتى صارت المناصب واهل الجبل تخاف من خادمه اكثر مما كانت تخاف من شخصه في الايام الاول

نادره

وكان ابراهيم باشا مع شجاعته وحسن تدربه في ابواب الحرب وبراعته ذا سياسة ونباهة وفراسة وله في ذلك نوادر كثيره وحكايات شهيره منها ان رجلاً من اهل رأس بيروت مر ذات يوم على الرمل واوغل في ذلك السهل فراى في طريقه رجلاً مقتولاً في تلك القفار فارتاع لمنظره وحار واخذته الرعدة والاقشعرار فرجع عَلَى الاثر وحدث المتسلم بذلك الخبر وكان متسلم المدينه يومئذ

رجلاً علي الهمم موصوفاً بمكارم الاخلاق وحسن الشيم ممدوحاً
عند الغائب والشاهد يقال له حسين افندي راشد فبادر باحضاره
واستكشاف اخباره واذا هو رجل غريب ليس له في المدينة خليل
ولا قريب فتألم المتسلم قلقاً وكدراً وتلهب قلبه غيظاً وشرراً وقبض
من اهل راس بيروت عَلَى نحو عشرين نفراً وسألهم عن ذلك
المقتول فقالوا ليس عندنا علم بشيء مما تقول فتهددهم بالضرب الاليم
والقائم في السجن تحت الترسيم وكان كثيراً ما يستحضرهم ويتهددهم
ويسألهم ويتوعدهم واتفق حضور ابراهيم باشا في تلك الايام من
مدينة دمشق الشام فاوقفه المتسلم على واقعة الحال واخبره بما فعل
من حبس اولئك الرجال فقال له انك بما فعلت قد اخطات الغرض
وركبت الشطط لانه من المستحيل ان يكون القاتل اكثر من رجل
او رجلين فقط وها انت قد سجنت نحو عشرين رجلاً من اهل
البلد من حيث لم يقع لك شبهة منهم على احد ثم امر باخراجهم
من السجن واحضارهم الى ما بين يديه فاخرجوهم واحضروهم اليه
فتامل فيهم واستنطقهم و بعد ذلك اطلقهم واستدعى باحد الجاويشية
واصحبه بخمسة انفار من الضبطيه وقال له اريد منك الان ان
تذهب الى راس بيروت من غير توان وتاتيني باصحاب الدكاكين
والخمارات الذين يبيعون المسكرات

فامتثل ما امر وفعل كما ذكر ولم تكن الا ساعه حتى جاء

برجلين من تلك الجماعه فاختلى باحدهم وقال له اصدقني بالكلام والا انتقمت منك اشد الانتقام هل مر عليك منذ يومين او ثلاثة ايام بعض انفار ومعهم رجل غريب الديار فقال لا والواحد الاحد انه لم يمر علي احد ثم طلب الاخر وساله ذلك السوال وتهدده بالمقال فقال نعم يا ولي النعم قد حضر الى دكاني منذ يومين عند المساء ثلاثة اشخاص غرباء فطلبوا مني طعاماً وفاكهة ومداماً فاتيتهم بالمطلوب من المأكول والمشروب واقاموا عندي ولعبوا بالقمار طول ذلك النهار ثم انصرفوا بالسلامة والامان وفي الصباح رجع منهم اثنان فقال له ابراهيم باشا لقد قلت الحق ونطقت بالصدق وانا اريد الان احضارهما مك حتى اطلق سبيلك واصفح عنك ثم امر الجاويش ان يذهب معه ويعاونه في التفتيش فذهبا جميعاً ولم تكن الساعة حتى اتيا بهما الى حضرته سريعاً فقال لهما ويلكما اصدقاني اين رفيقكما الذي كان معكما في اليوم الفلاني فلما سمعا كلامه وعرفا قصده ومرامه رجف قلبهما وازداد رعبهما ولم يسعهما الا الانكار خوفاً من الهلاك والبوار ونزول الدمار فالقاهما تحت الضرب والعقاب ولما طال عليهما العذاب اقرا بأنهما قتلاه واخذا ماله ودفناه فالتفت ابراهيم باشا الى المتسلم وارباب الديوان ومن حضر في ذلك المكان من الاكابر والاعيان وقال لهم هذان هما المجرمان ليس كما ظننتم انتم فتعجب الحاضرون من فطنته وقوة ذكائه ومعرفته فأمر بقتلهما

امام الجمهور وان يلقوهما في ذلك المكان الذي قتلا فيه ذلك الرجل المذكور وكان ذلك الدكان الذي سكروا بها وقتل ذلك الرجل بسببه يقال له دكان الزيدانية فامر بهدمه وتعطيله بالكليه وبقي مهدوماً معطلاً الى ان خرجت الدولة المصرية من بلاد سوريه

حادثة عجيبة ونادرة غريبه

وكان ابراهيم باشا كثيراً ما يطوف متنكراً بين الناس ويجالس اصحاب الصنائع من جميع الاجناس فيسمع حديثهم وكلامهم ويعرف قصدهم ومرامهم واحياناً يذم نفسه امامهم قاصداً بذلك كشف اسرارهم والوقوف على حقيقة اخبارهم ومن غريب الاتفاق المستحق التسطير في الاوراق ما جرى لحضرته في بيروت مع رجل من ذوي البيوت يقال له الحاج علي حصرم وكان ذكياً بارعاً في الحديث والتكلم وهو الذي حدثني بهذا الخبر ونقلته عنه كما شرح وذكر قال بينما كنت ذات يوم جالساً في دكاني واذا بدرويش قد اقبل علي وحياني وكان مربوع القامه مهيب المنظر وعليه حلة من الصوف الاحمر فرددت عليه السلام وتلقيته بالترحاب والاكرام ودعوته للجلوس فجلس بقربي وقد مال اليه قلبي ولما استقر به المقام اخذ يباسطني بالكلام ويسألني عن احوال الاحكام وتصرفات الولاة والحكام وقال انه قد حضر في هذه الايام من مدينة دمشق الشام ثم اخرج من جيبه غليوناً صغيراً

وجعل يدخن به ويتاوه كثيراً وهو يتنهد ويتحسر مظهراً
على نفسه الحزن والكدر ويتوجع من قلب محزون ويقول انا
لله وانا اليه راجعون فاستعظمت امره وشفقت عليه واستصغرت
كبار الامور بالنسبة اليه وسالته عن حاله ومصابه وسبب
حزنه واكتئابه فقال بالله دعني ولا تسأل عن حزني فانه
شديد وخصمي عنيد فقلت اعلمني بواقعة الحال ومن يكون
خصمك من الرجال عسى ان تجد لك عن يدي فرجاً
ومن هذه الشدة خلاصاً ومخرجاً فان مصابك قد اثر بي
وزادني كرباً على كربي قال خصمي هو ابرهيم الذي لا يحن
عَلَى قلب سقيم ولا يشفق عَلَى ارملة او يتيم قلت له
بماذا جار عليك واوصل اذاه اليك قال كان لي اخ صغير
كنت احبه الحب الكثير وكان عوني وسندي واعز علي من
ولدي فاخذه مني رغماً وجبراً وادخله في سلك عسكره
غصباً وقهراً واضرم في فوءادي لهباً وجمراً وجعلني ابكي
عليه طول الدهر وجرعني لوعة الخنساء عَلَى اخيها صخر فلما سمعت
مقاله عذرته واستعظمت حاله وقلت اعلم يادرويش الخير وقاك
الله كل بوءس وضير لقد تكلمت بالصدق ونطقت بكلام الحق
فانه رجل صارم وحاكم ظالم قد احرق صميم فوءادنا واخذ
اكثر اولادنا وادخلهم في سلك العسكر وجعلنا نتحسر عليهم

وتمرر نسأل الله وهو نعم المسؤول ان ينتقم منه بجاه الرسول ويرفع عنا ضره ويكفينا اذاه وشره وما زلت احادثه بمثل هذا الكلام واهون عليه الامور العظام واطعن في ابرهيم باشا وادعو على حكمه ان يزول ويتلاشى وهو ينفخ ويتململ ويسمع كلامي ويتأمل حتى تغيرت حالته وارتاح واستبدل ذلك الحزن بالارتياح وبش بعد ما كان قد عبس وجعل ينظر في ويتفرس ولما انتهيت من هذا المقال التفت الي وقال جزاك الله عني خيراً ووقاك بوءساً وضيراً لقد زالت الان كربتي وهانت علي مصيبتي ثم قال انا لله ولا حول ولا قوة الا بالله من مصائب الدهر وبلاياه ثم نهض فوقف وودعني وانصرف ولم تكن الا ساعة من النهار حتى احاط بي ثلاثة انفار وقالوا قم يا فلان فان ابراهيم باشا يدعوك الان فخفق فوءادي واضطرب وقلت لهم يا للعجب ما هو الداعي لهذا الطلب فانني رجل فقير فماذا يريد مني حضرة الوزير فقالوا قم بالعجل ولا تسأل فزاد خوفي واحتسبت وقمت معهم وذهبت وما زلنا نسير حتى وصلنا الى قصر كبير فادخلوني الى حجرة لطيفة تحتوي على تحف ظريفة من الفرش الفاخر وانواع الانسجة والحرائر التى تدهش البصائر وتذهل العقول والنواظر فوجدته جالساً في صدر المكان وحوله جماعة من الاعيان وقواد العساكر والفرسان

فتأملته بالعيان واذا به ذلك الانسان الذي ذارني في الدكان وجرى لي معه ما جرى وكان فتقدمت اليه وقبلت الارض بين يديه فقال اعلم يا فلان انه قد بلغني عنك الان من بعض الاعوان بانك تطعن في حكمي وتشكو من جوري وظلمي وقلت عني ما هو كذا وكذا ونسبتني الى التعدي والاذى فاذكر لي الان ما الذي رايت مني من الظلم والعدوان حتى تكلمت بذلك الكلام المستحق للعقاب والانتقام فانقطع ظهري وحرت في امري وايقنت بالهلاك والدمار ولم يسعني الا الاعتذار فوقعت عَلَى قدميه واخذت اثني عليه وقلت ايها المولى الهمام ومن هو زينة الانام وتاج الوزراء الفخام اني اسألك برب الانام الذي رفعك الى هذا المقام وفضلك عَلَى جميع الخلق بالحلم وكرم الخلق ان تعفو بحلمك عني وتصفح عما فرط مني لان عدلك مشهور وفضلك غير منكور فاللسان يقصر في شرح الطافك والقلم يعجز عن ان يقوم بحق اوصافك ولا احد من الناس من جميع الاجناس الا ويشكر من حضرتك ويثني عَلَى دولتك الا الدراويش الفقراء الذين اخذت اخوتهم عسكراً فانهم يستعظمون ذلك الامر و يعدونه من باب الظلم والغدر وليس هذا يدل عَلَى ظلمك ولا عَلَى عدم انصافك وجور حكمك لان هذا الترتيب والنظام قدسته قبلك ملوك الانام وهو من اهم الامور العظام لقيام ناموس الرياسة وضبط امور السياسه لان الشوكة

والصوله وقيام قوة الدوله تحتاج الى العساكر والاجناد لحفظ راحة العباد وصيانة الاموال والبلاد وبدون ذلك تختل قواعد الممالك ويستطيل المملوك عَلَى المالك والقوي عَلَى الضعيف والحقير عَلَى الشريف فيكثر النزاع والجدال ويعم الشر والوبال وليس من يرد ولا يدفع ولا من يحامي او يمنع واما بوجود الرجال والابطال فيستقر الملك وتنتظم الاحوال وتستقيم امور الناس وتتشيد دعائم السلطنه عَلَى اقوى اساس عَلَى ان الشعوب الافرنجيه في الممالك الاجنبيه تود الخدمة العسكريه وتعدها من اكبر الشرف وتفضلها عَلَى باقي المهن والحرف وتدخل فيها بالطوع والاختيار لا بطريق الكره والاجبار املاً بالتقدم وبلوغ الارب والحصول عَلَى الوظائف الرتب بخلاف اهالي عربستان لانهم لم يعتادوا عليها قبل الان فيرونها امراً عظيم الشان لداعي فرقة الاهل والخلان وابتعادهم عن الديار والاوطان فيتوهمون الفرح حزناً وغماً ويرون العدل جوراً وظلماً وان الذي سمعته عني لم يكن عن قصد مني وانما كان جل المقصود تسلية ذلك الدرويش المعهود وتعزيته عن حزنه الشديد عَلَى فقد اخيه الوحيد وهذا الذي تم وجرى بتقدير رب الورى حتى اتشرف بمقابلة جنابك ولثم ساحة اعتابك وقد تراميت الان عليك وشرحت قصتي بين يديك لانك ولي النعم وفخر سادات الامم وجميع الحكام عندك كالخدم وليس فوقك احد الا

الواحد الصمد فلا زالت ايامك في عز وانشراح وتوفيق ونجاح ما اظلم الليل واشرق الصباح فتبسم ضاحكاً من هذا الخطاب وقد اعجبه غاية الاعجاب ثم طيب قلبي وصفح عن ذنبي وامرني بالجلوس فجلست وآنسني بحديثه فاستأنست وبعد هذا الحديث والكلام امر لي بالف غرش على سبيل الانعام وقال قد ازعجناك الان فقم واذهب بأمان فدعوت له بطول العمر ودوام العز والنصر وخرجت من عنده منشرح الصدر ومتعجباً من هذا الامر ولم ار في حياتي احلم منه ولا الطف ولا اكرم خلقاً ولا اظرف

في حسن معاملة ابراهيم باشا للمرحوم والدي كفاني
الله شر عدوي وحاسدي

وكان ابراهيم باشا محباً لسيدي المرحوم الوالد والاب العزيز الماجد وهو يعقوب اغا المشهور صاحب الفضل والصيت المشكور الذي كان من اكابر زمانه واوحد عصره واوانه وكان يزوره في اكثر الاحيان ويعامله باللطف والاحسان ويخلع عليه الخلع الحسان كما هو معلوم الخاص والعام من اهل بيروت وبر الشام وبهذه الوسيله ارتفع ابي بفضله جاهاً وقدراً واكتسب بصفاء انظاره شرفاً وفخراً وكان مسموع الكلام مرفوع المقام عند الولاة والحكام مقصداً لحل المعاقد والمشاكل وكهفاً تلتجىء اليه الايتام والارامل

وكان من جملة مساعيه الخيريه وافعاله الحميده المرضيه انه اطلق عشرة انفار من اهل بيروت من الخدمة العسكريه ممن كانوا فقراء الحال واصحاب عيال منهم احمد مرزا البيروتي وعبد الرحمن المغربل واحمد العانوتي واحمد طقطق الدلال وغيرهم من الرجال وهذا حظ عظيم والتفات جسيم لم ينله غير والدي من مكارم جناب ابراهيم وهذه المعاملة الجميله هي التي حملتني الى جمع مآثره الجليله وتدوينها في هذا الكتاب وليبق ذكراً لحضرته عَلَى مدى الاحقاب فلو رآه وتأمل فيه واطلع عَلَى ظواهره وخوافيه وتلا العبارات المتعلقة بحروبه ومغازيه لاغناني وبلغني المرام

ورفع رتبتي الى اعلَى مقام

كتاب لو تلى ابراهيم يوماً     صحائفه لبلغني مرامي
واغناني عَلَى رغم الاعادي     ورقاني الى اعلَى مقامي



## الباب الثاني عشر

### في تمرد دروز حوران وانقيادهم الى الطاعة بعد العصيان

فلما استخلص ابراهيم باشا قطر الشام وصفت له الليالي والايام كما تقدم الكلام ارسل الاوامر والمباشير الى الامير بشير يطلب

منه ان يجمع من الدروز الفاً ومئتي نفر ليدخلهم في سلك العسكر فامتثل امره وبادر بالعجل واستدعى اليه اكابر دروز الجبل وعين عَلَى كل مقاطعة كمية من الشبان وامر ذوي المناصب وارباب الوظائف والمراتب ان لا ياخذوا من ليس له عوض ولا من يكون به علة او مرض وان ينتخبوهم من ابن خمس عشر الى ابن خمس وعشرين سنة وحدد لهم في ذلك مدة معينة فلما شاع هذا الخبر ونما بين الدروز وانتشر اثر ذلك في قلبهم اعظم اثر فهاجت منهم الشبان واظهروا الخلاف والعصيان فغضب الامير من اعمال الدروز وقال لهم انكم تريدون ان تعصوا الحكومة وذلك لا يجوز فيلزم ان تطيعوا الاوامر والا دهمكم بالعساكر ونهب اموالكم وقتل اطفالكم ثم جمع الى بيت الدين جميع المطلوبين وارسلهم الى عكا بالقوة الجبرية امتثالاً للاوامر السنية وهناك ادخلوهم في سلك العسكرية واتفق بعد ذلك بنحو عام ان ابراهيم باشا كتب الى شريف باشا والى دمشق الشام يأمره باخذ عسكر نظام من دروز حوران ووادي التيم واقليم البلان فاجاب بالسمع والطاعة وشرع في ذلك الامر من تلك الساعة فلما بلغ الدروز هذا الخبر زاد عندهم القلق والضجر فاظهروا له التمرد والعناد وعدم الطاعة والانقياد فازداد شريف باشا عليهم حنقاً وكدراً وارسل لمحاربتهم عسكراً فلم يظفر منهم بمراد لانهم كانوا قد اتحدوا مع عرب

تلك البلاد وانضاف اليهم جماعة من دروز لبنان وسكان وادى التيم واقليم البلان وغيرهم من اهل البغي والفساد تحت راية الشيخ ناصر الدين العمد حتى صاروا في عشرة الاف مقاتل بين فارس وراجل فكانوا يربطون مسالك الطرق وينهبون القوافل بين بيروت ودمشق ويقتلون من استفردوه من عسكر النظام ولم ينظروا في كل ذلك لعواقب الايام فلما رأى شريف باشا ما فعلوه ارسل اليهم عسكراً آخر فحاربوه وهزموه وكانت دروز وادى التيم واقليم البلان ينجدونهم بالرجال والفرسان ولما بلغ ابراهيم باشا هذا الخبر استولى عليه الغيظ والكدر وكتب الى ابيه بمصر يعلمه بهذا الامر ويلتمس منه ارسال عسكر من الارناووط بالعجل لان عسكر النظام يتعسر عليه الحرب بالجبل فجهز له اربعة الاف مقاتل تحت لواء مصطفى باشا كامل وكان بطلا هماماً وشجاعاً مقداماً فوصل في اقرب زمان الى عربستان وحارب الدروز في الوعرة سنة الف ومائتين واحدي وخمسين من الهجرة وجرت بينه وبينهم عدة وقائع منكره في تلك الاماكن الموعره وكانت دروز البلاد ومن اشترك معهم في هذا الفساد تنجدهم اولا سراً ثم علناً وجهراً تحت راية شبل العريان وكان من فحول الفرسان موصوفاً بالشجاعة وقوة الجنان فغضب ابراهيم باشا بهذا السبب وكتب الى الامير بشير من حلب يذكر له ذلك الخلل الواقع من دروز الجبل ويأمره

ان يبادر في الحال بارسال حفيده الامير مجيد قاسم في جماعة
من الابطال الى وادي التيم واقليم البلان لارهاب دروز لبنان
لئلا ينجدوا دروز حوران وان يرسل حفيده الامير محمود خليل
الى حاصبيا على الاثر في الف وخمسمئة نفر ليقيم في دار سرايا
الاحكام مع عسكر النظام فاجاب وامتثل وارسلهما على عجل
ولما بلغ الامير مجيد اقليم البلان اطلق الغاره على العصاة المجتمعين
في ذلك المكان فهزمهم على اعقابهم واستولى على اسلابهم بعد ما قتل
منهم مائة وخمسين رجلا وملاء قلوب من بقي خوفاً ووجلا واما
الامير محمود فنزل في دار السرايا بمن معه من الجنود وفي اثناء
ذلك قدم ابراهيم الى حاصبيا للانتقام من الدروز وكان وصوله
اليها في اليوم الخامس من شهر تموز وكان قد بلغ الدروز في
بعض الايام انه قادمة ذخائر الى عسكر النظام من مدينة دمشق
الشام فطمع الشيخ حسن جنبلاط بنهبهما وارسل خمسمئة نفر لاخذها
وسلبها فالتقوا بها في بعض الطريق وكانت عدة صناديق من البارود
والدقيق فلما ابصروها انقضوا عليها واستخلصوها واتفق في ذلك
الوقت قدوم مصطفى باشا من الوعرة بالعساكر فالتقاهم في الطريق
واستخلص منهم المؤن والذخائر فلما بلغ الشيخين هذا الخبر بادر
الشيخ حسن على الاثر وقصدهم والشيخ ناصر الدين بسبعمائة وخمسين
ولما اشرفوا على المكان المعهود اطلقوا على مصطفى باشا نيران البارود

وعلا ضجيجهم كاصوات الرعود فاستقبلهم الارناوءط بقلوب كالجبال واشتبك بينهم القتال واخذت نيران الحرب في الاشتعال حتى تزلزلت من ضجيجهم ارض وادى التيم وكان الرصاص يتناثر كالبرد ودخان البارود غطى الافاق كالغيم واستمر القتال بين الفريقين نحواً من ساعتين وكان ابراهيم باشا يومئذ في حاصبيا بالقرب من ذلك المكان فلما بلغه الخبر نهض مسرعاً باربعمائة مقاتل من الفرسان ولما وصل الى ساحة المعمعة وراى تلك الاحزاب المجتمعة اطلق عليهم النار الدائمة وامر العساكر ان تبادرهم بالمهاجمة فاطبقوا عليهم من كل جانب وحملوا عليهم كالسلاهب وضيقوا بهم المسالك والمذاهب واخذوا يذبحونهم كالغنم ويقطعونهم تقطيع لحم على وضم فقتلوا منهم ستمائة وعشرين وكان من جملة المقتولين الشيخ ناصر الدين ولم ينج من اصحابه سوى خمسين واما الشيخ حسن جنبلاط ومن بقي معه من مشايخ الارهاط فلما ايقنوا بالعطب وعلموا ان لا نجاة الا بالهرب ولوا بكل خفة وسرعه وقصدوا قرية شبعه فدهمهم ابراهيم باشا في ثاني الايام بجموع الارناوءط وعسكر النظام فانقلبوا على اعقابهم يطلبون الفرار وقتل منهم جملة انفار وفر شبل العريان بمائة فارس الى حوران ودخل المصريون الى القرية فنهبوها وقتلوا من وجدوا بها من العصاة واحرقوها ولم يبق من اهلها الا من كان طفلاً او نائحة تصرخ صراخ

الشكلي ثم احرقوا بعدها اكثر القرى وتركوها عبرة لمن يرى فندمت الدروز على ذلك الراي الوخيم ولم يعد يمكنها الا الانقياد والتسليم والامتثال لاوامر ابراهيم ولما يئس شبل العريان من بلوغ الوطر وراى نفسه عرضة للخطر ندم على سوء عمله وايقن بحلول اجله فحضر في جماعة من الابطال الى ابرهيم باشا صاحب السعادة والاقبال فاعتذر اليه ووقع على قدميه ملتمساً منه الرضى والعفو عما مضى فنعطف عليه براحمه وصفح عن جرائمه وغمره في بحر كرمه ونظمه في سلك خدمه وجعله قائداً على الف فارس من الهواري فاكتسب فخراً واعتباراً وتحسنت احواله بهذه الخدمه وصار له بين الناس منزله وحرمه



## الباب الثالث عشر

### حرب نزب

وفي سنة ١٢٥٥ هجرية الموافق سنة ١٨٣٩ مسيحية صدرت الاوامر السلطانية الى حافظ باشا ان يتجهز في الحال ويسير بالرجال والابطال لاستخلاص بلاد سوريه من يد الدولة المصرية فامتثل الامر المطاع وسار على قدم الاسراع

في سبعين الف مقاتل بين فارس وراجل قاصداً عربستان من غير توان ولما بلغ ابراهيم باشا البطل المغوار والاسد الكرار قدوم هذا العسكر الجرار استعد لحربه وقتاله وزحف باربعين الفاً من رجاله وابطاله لملاقاته واستقباله وما زال سائراً بهذا الموكب حتى انتهى الى نزب وهو سهل فسيح الرحاب بين براجيك وعين تاب وكان وصوله الى ذلك المكان يوم الخميس الواقع في الرابع والعشرين من حزيران فنزل عَلَى شاطىء نهر بقرب معسكر الاتراك ولما ضربت الخيام واستقر به المقام اصدر الاوامر الى قواد العساكر بان يكونوا عند الصباح مستعدين للحرب والكفاح ثم استدعى برجل كان يركن اليه ويعتمد في كشف الدسائس عليه يقال له سليمان وكان قوي الجنان فصيح اللسان ناجحاً في قضاء الحاجات عارفاً باكثر اللغات لا يبالي بالاهوال والمشقات يذهل الالباب بعذوبة الخطاب ويسبق الطير بسرعة المسير فامره ان يتاهب ويسير ويتجسس احوال تلك الجماهير ويميز قوادهم وعساكرهم وينظر بعين فراسته امورهم واوامرهم ويأتيه بحقيقة الخبر قبل طلوع السحر فاجاب وامتثل وسار عَلَى عجل قاصداً تلك العساكر كانه الطير الطائر حتى وصل الى مضاربهم واختلط في مواكبهم ثم قصد الصيوان الكبير الذي برسم الوزير وبعد ان اختبر الاحوال ووقف عَلَى

حقيقة الحال رجع على الاثر واخبره بما شاهد ونظر من
احوال القوم وحركاتهم وكثرة ذخائرهم ومهماتهم وما هم عليه
من الاستعداد والتأهب للحرب والطراد ثم قال له في اخر
الكلام اعلم ايها البطل الهمام اني رايت حافظ باشا في
الصيوان وهو جالس على الديوان كانه ملك او سلطان
ومن حوله القواد والاعيان وفي يده اليمين ماسورة من الياسمين
عليها طقم من الكهرباء الفاخر مرصعاً بنفيس الجواهر وبينما
انا اراقب احوالهم واسمع خطابهم ومقالهم اذ احضرت الخدام
مائدة الطعام فكانت عدة انواع فاخر واجناس متكاثر
اكثرها من لحوم الدجاج والضان والحلويات المختلفة الالوان
ولما فرغوا من الاكل والشرب اخذوا يتفاوضون في امر الحرب
وقد عولوا عند الصباح على القتال والكفاح وهم يوملون
بالنصر والنجاح فلما انتهى من شرحه وخطابه تبسم ابراهيم
ضاحكاً من وصفه واطنابه وكان عنده جماعة من اكابر
قواده واصحابه قد اجتمعوا للمشورة والكلام والمذاكره في امر
الحرب والصدام فقال لقد صدقت فيما وصفت ونطقت ولا تكلمت
واخبرت الا بما سمعت ونظرت وعاينت وابصرت ولكنني اسألك
ياسليمان بحضور هوءلاء الاعيان اما وجدت بينهم وزيراً او
قائداً كبيراً يفترش الارض سريراً وينام تحت ظل الشمس والقمر

ويسند رأسه على حجر ولا يبالي بالمشقة والخطر ولا بانواع
الطعام المفتخر ان غاب او حضر فقال وحق الواحد الاحد اني ما وجدت
ولا واحد وما هم الا كالعرائس يتقلبون في صدور المجالس في
افخر الحلل والملابس عَلَى صدورهم النياشين المرصعه وبين ايديهم
الاطعمة المتنوعة وهم جالسون في الخيم ومن حولهم الحواشي والخدم
فلما سمع كلامه زاد ضحكه وابتسامه وقال له اذا كانوا عَلَى
ما تقول فسوف نبلغ منهم المأمول ونفرقهم عند طلوع
النهار بين الروابي والقفار بعون الواحد القهار قلت وما كان
قصده بذلك السوال ان يقف عَلَى حقيقة الاحوال لانه كان
عارفاً بحالهم عالمًا بصفاتهم وخصالهم وما هم عليه من الدلال
ورفاهة الحال ولكن كان جل قصده ومراده ان يشجع
قلوب جنده وقواده عَلَى الحرب والقتال والثبات في ميدان
النزال ولم تكن تلك الاوصاف البديعة والمناقب السامية الرفيعة
من علو الهمم ومكارم الشيم والجود والكرم الا فيه دون
باقي الامم لانه كان من عجائب الزمان وافراد العصر والاوان
ذو سعد واقبال وهيبة وكمال عديم المثال بين الرجال خبير
بامور الدهر كثير الجلد والصبر لا يمل ولا يضجر ولا
يهاب الموت الاحمر وكان مع هذا البطش والاقدام وعلو
الجاه ورفعة المقام لا يكترث بالطنطنه والعظمه ولا يبالي

بانواع الاطعمة بل كان يقنع بما تيسر من طعام العسكر
بدون ادنى التفات الى معاطاة المشروبات ويواظب في
اكثر الاحيان مع الابطال والفرسان عَلَى السهر الى وقت
السحر فكانت تميل اليه النفوس والقلوب وينتصر في الوقائع
والحروب ويفوز بالمقصود والمرغوب وكان عند فراغه من
هذا الخطاب الذي يهيج الشيوخ والشباب ويشجع الذليل
الجبان عَلَى الحرب والطعان وملاقاة الشجعان استحسنه القواد
والاعيان ومن حضر في ذلك المكان غاية الاستحسان لان
كلامه عنهم لم يكن هزوءاً واحتقاراً ولا وصفه لنفسه
مباهاة وافتخاراً كما جرت عادة الجبابرة او بعض الملوك الظافره
في التهديد والوعد والوعيد ولم يتكلم الا بالواقع حيث حاربهم
في جملة المواضع وهزمهم في عدة مواقع وكانوا ضعافاً في العدد
واكثر في الذخائر والعدد ثم تفرقت الناس الى الخيام بعد
هذا الحديث والكلام وبقي هو مع نفر واحد اسمه محمد
ابن راشد كان في خيمته مختصاً بخدمته حدثني محمد المذكور
قال لما انصرف الجمهور بقي ابرهيم باشا وحده ولم يكن احد
غيري عنده فأخذ يتمشى في الصيوان نحو ساعة من الزمان ثم جلس
عَلَى الطراحه لياخذ لنفسه راحة فبينما هو جالس كانه الليث
العابس واذا باربعة مدافع اطلقها العدو من عدة مواضع فوثب قائماً عَلَى

قدميه وناداني فمثلت بين يديه فقال لي يا محمد ما هذا الذي تجدد
فقلت حفظك الله وابقاك وادام عزك وعلاك ونصرك على حسادك
واعداك اتسألني هذا السوال وانت اعلم بواقعة الحال فتبسم ضاحكاً
وقال اني لا اسمع الا صوت حصى تذريه الرياح او حفيف شجر
لعب به نسيم الصباح ولما طلع النهار وشعشعت الشمس بالانوار
قرعت طبول الحرب وتأهب العسكر للطعن والضرب وفي الحال
انتشرت البيارق وخفقت الرايات والسناجق واصطفت المواكب
والفرق ولمع السلاح وبرق وانقسمت الجنود الى اقسام وتقدمت
الى امام واندفعت بسرعة واهتمام كانها ليوث الاجام او صواعق
الغمام وكانت عساكر العثمانيه قد اقبلت بقلوب قويه وهمم عليه وهي
تموج في تلك البطاح كما يموج البحر اذا لعبت به عواصف
الرياح ولما تدانى العسكران واقترب الجيشان امر ابراهيم باشا ليث
المعامع باطلاق البواريد والمدافع فاطلقت في الحال وانتشب بين
الفريقين القتال وتزلزلت الارض بالزلزال ثم هجمت الجنود المصريه
على الجيوش السلطانيه وانقضت عليها ككواسر العقبان او اسود
خفان فالتقاها عساكر السلطان بقلوب اقوى من الصوان واخذت
معها في الضراب والطعان وحينئذ اختلطت الصفوف بالصفوف
وتمكنت في الاجسام الحراب والسيوف والتقت الميئات بالميئات
والالوف بالالوف ودارت على القوم كوءوس الحتوف وكان يوماً

شديد الاهوال تشيب من هوله الاطفال فيه كثر القتل والجراح وطارت الجماجم عن هياكل الاشباح باسنة الحراب وشفار الصفاح وغلب الفساد عَلَى الصلاح وحجب القتام نور الصباح وحامت ملائكة الموت عَلَى الارواح ونعق فوقهم غراب البين وناح وارتجت الارض من الضجيج والصياح واصوات البارود وقعقعة السلاح فلله در ابراهيم باشا ليث البطاح وفارس ميدان الكفاح فانه خاض معركة القتال بقلب اقوى من الجبال وحكم سيفه في صدور الابطال واظهر بشجاعته العجائب والاهوال وفعل في ذلك اليوم المنكر فعالاً يعجز عنها ابو الفوارس عنتر فتقوت بحملاته قلوب العسكر وانصبوا عَلَى اعدائهم كعارض المطر وعرضوا نفسهم للخطر في سبيل الوطر واستمر القتال عَلَى هذا الشرح والوصف نحو ثمان ساعات ونصف وكانت قد كلت عساكر الاتراك ووقعت في سوء الارتباك وايقنت بالدمار والهلاك من تواتر الحملات وضرب السيف وطعن السكات فتأخرت الى الوراء وتقهقرت في تلك الصحراء طالبة مرعش وتلك الاطراف بعد ان قتل منها نحو ستة آلاف واسر حافظ باشا وزيرها ومدير امورها ومشيرها واستحوذ المصريون عَلَى مهماتها واثقالها واستولوا عَلَى ذخائرها واموالها ورجع ابراهيم باشا ظافراً منصوراً وعدوه مدبراً مقهوراً وانتهى الى الاستانة خبر هذا النصر السعيد بعد ثمانية ايام من وفاة السلطان محمود وجلوس ولده



# الباب الرابع عشر

## في خروج الحكومة المصريه من اقطار سوريه بعد حروب هائلة قويه وانتقال محمد باشا وابراهيم باشا الى رحمة رب البريه

وكان بعد ان فاز ابراهيم باشا وانتصر في حرب نزب كما تقدم الخبر ورفعت جيوشه رايات النصر والاستظهار وحل ما حل باعدائه من السقوط والانكسار حذرت الدول الافرنجيه ان يفتتح القسطنطينيه ويجلس علَى تخت السلطنه العثمانية ولذلك اتحدت الدولة الانكليزيه مع الدولة الروسية والنمساوية والبروسيانيه علَى ترجيعه من تلك الديار اما بالطوع والاختيار او بطريق الاكراه والاجبار فعقدوا في مدينة لندن جمعيه في اليوم الخامس عشر من تموز سنة ١٨٤٠ مسيحيه للبحث والمفاوضة بهذه القضيه وبعد عقد جلسات متعدده فرضوا عليه شروطاً واحكاماً مقيده وامضى بالمصادقة عليها كل من تلك الدول المشار اليها فكان جل ما سطروه وفحوى ما استحسنوه وحرروه هو تقرير ذاك الهمام الاعظم والخديوي الاكرم الافخم محمد علي باشا ذى الاخلاق الرضية علَى ولاية الاقطار المصريه مع قسم صغير من الديار الشامية ويكون

ذلك من بعده لذريته واولياء عهده وشددوا عليه في الكلام انه
من بعد وقوفه عليها بعشرة ايام يسحب عسكره من اطراف بر
الشام بلا نزاع ولا خصام فعند وقوف حضرة الخديوي علَى هذا
الطلب الذي يستحق العجب عظم الامر لديه ولم يصادق عليه فما
كان من الملوك المتحده والدول المحتشده الا انها اتفقت مع الدولة
العليه باشهار الحرب علَى الحكومة المصريه وارسلت الدولة الانكليزيه
سنة ١٨٤٠ مسيحيه عمارة بحريه مشحونة بالعساكر والمهمات
الحربيه الى اساكل سوريه تحت قيادة اللورد دوبرت ستابفورد
فضرب بيروت الضرب المهول فسلمت في الحادي عشر من شهر
ايلول واما باقي الثغور كطرابلس وصيدا وصور فحيث لم يكن
فيها من القلاع ما يقوم بحق الدفاع اضطرت ايضاً الى التسليم
بعد جهاد عظيم ولما استولوا علَى هذه الاساكل شحنوها بالعساكر
والجحافل وقصدوا قلعة عكا الشهيره بتلك المراكب والقوات
الكبيره واطلقوا عليها مدافعهم وقنابلهم وكانت المدينه تحاربهم وتناضلهم
وجنودها تجد في نيل مراكز المجد والظفر غير مبالية بالاهوال
والخطر واستمر القتال علَى هذا المنوال ثلاث ساعات بلا انقطاع
ولا انفصال فاتفق بامر الواحد الاحد والفرد الصمد وقوع كلة
علَى جبخانة البلد فاحترقت في الحال وقتلت عدداً كثيراً من
الرجال وبهذه الوسيله ضعفت قواها وسلمت الى اعداها وكان

حدوث هذا الامر الرباني في اليوم الثالث من شهر تشرين الثاني وحينئذ استولت عليها العساكر الاجنبيه ولما رات الحضرة الخديويه انها امست تحارب اقوى الدول الاورباويه سحبت عسكرها من الديار الشاميه بعد حروب عديده ووقائع هائله شديده وما زال محمد علي باشا في عزه وفخره ونهيه وامره الى ان بلغ الثمانين من عمره فاعتراه مرض سوداوي احدث خللاً في فكره الذي كانت تضرب بصحته الامثال وتستمد به فحول الرجال وبعد ذلك بسنة انتقل الى جوار الملك العلام وكانت مدة حكمه خمساً واربعين سنة وعشرة ايام وكانت وفاته في اليوم الثامن من شهر آب سنة الف ومائتين وخمس وستين هجريه فتقطعت عليه القلوب حسرات وانسكبت لفقده العبرات وعظم ذلك على جميع اهل مصر وناحوا عليه نوح الخنساء على صخر فسبحان الحي الدائم صاحب الملك والجبروت والصمد الذي لا يتغير ولا يموت وكان يلقب بالخديوي وجرى اللقب من بعده على خلفائه واولياء عهده وكان ابراهيم باشا صاحب الجاه والفخر قد استولى بعد تنازل ابيه على احكام بر مصر وقد ذكرنا فيما تقدم مناقب هذا الاسد الغشمشم والخديوي الاعظم وما اجرى الله على يده من الفتوحات السعيده والانتصارات العديده فلما استبد بزمام الاحكام قام بتدبيرها اتم قيام فعامل الناس بالمعروف والكرم واصلح بين الذئب والغنم

واقتفى اثر والده في العدل وعلو الهمم ومكارم الاخلاق وحسن الشيم ومن يشابه ابه فما ظلم وكان حضرة مولانا السلطان عبد المجيد خان استدعاه الى سدته المنيفه وزيارة حضرته الشريفه فدخل القسطنطينيه عام اربع وستين ومائتين والف هجريه فقابله بالتبجيل والاكرام واحترمه غاية الاحترام وفوض اليه احكام الديار المصريه وخلع عليه الخلع السنيه ورجع بالعز والاقبال عَلَى احسن حال وانعم بال واستقر في ولايته الزاهره ولوائح السعود في غرة جبينه ظاهره وما زال السعد خادمه والعز مصاحبه وملازمه الى ان ادركه الاجل المحتوم واستوفى عمره المعلوم وكانت وفاته في اليوم العاشر من شهر تشرين الثانى سنة الف ومائتين واربع وستين هجريه ودفن باحتفال عظيم بمصر المحميه وهو ابن اثنين وستين سنه رضي الله عن مساعيه الحسنة وكانت ولايته احد عشر شهراً ورثاه شعراء العصر بكل قصيدة غراء فمن ذلك قول الفاضل الاديب والشاعر اللبيب فخر الادباء البارعين السيد محمد شهاب الدين

. . .

| | |
|---|---|
| صبراً عَلَى ما قد مضى | اذ لا مخلص من قضا |
| كيف التصبر والمنا | يا ذات عضب منتضى |
| اودت بابرهيم مذ | بلغ المقام المرتضى |
| واليه آل الامر في | حكم الايالة وانقضى |

فمضى وقلت مؤرخاً    الله يرحم من مضى

فبكت عليه الناس من جميع الاجناس ونصبت له الحكومة في القاهره تمثالاً من النحاس واقامت ايضاً للحضرة الخديوية تمثالاً في الاسكندرية رحمهما الاله الرحمن وجعل ذكرهما مخلداً على طول الزمان



## الباب الخامس عشر

### في مآثر حضرة الاميرة الكريمة والدرة اليتيمة ذات الفضائل العميمة والاراء الصائبة المستقيمة قرينة ابراهيم باشا الفخيمة وجدة جناب ولي النعم مولانا توفيق باشا الخديوي المعظم ايد الله مجدها وتوفيقها وجعل السعد خادمها ورفيقها

انه اذ كنا قد استوفينا الان مناقب حضرة ساكن الجنان ابراهيم باشا العظيم الشان فيليق بنا قبل أن نمتد بالكلام في تراجم حضرات اولياء الامور العظام ان نذكر في هذا المقام حضرة قرينته الرفيعة المقام الممدوحة من الخاص والعام وما قد خصها الله به من الكمال ومحاسن الخصال دون باقي النساء

والرجال حتى يكون هذا التأليف مزيناً بذكر اسمها الشريف اذ انها قرينة ذلك الاسد وهي احق بالثناء والمدح من كل احد لانني من جملة من غمرهم نداها وعمهم احسانها ونعماها فاقول : هي تاج المخدرات وزينة النساء الموقرات ولية النعم وسحابة الجود والكرم المجملة بحلل الكمال والوقار المتصلة بها سلسلة الشرف والفخار صاحبة الجاه والاعتبار الاميرة الجليلة خوشكار من باهت نساء الارض شرفاً ونسباً وفاقت عليهن جوداً وحلماً وادباً كيف لا وهي زينة هذا العصر والجوهرة الثمينة في بر مصر التي تعطرت بحسن شمائلها الاكوان واقر بفضل دولتها كل انسان وشاعت مكارمها في اقصى المدن والبلدان حوت اللطائف والظرائف واجادت اهل الفضل والمعارف واوفتها المدائح والاشعار من جميع الاقطار ومما قلته فيها ادام الله سمو معاليها وجعلها سيفاً مسلولاً على قلب حسادها واعاديها

| | |
|---|---|
| باهت مآثرها الكرام | وتفردت بين الانام |
| وسمت على اقرانها | بالمجد في اعلا مقام |
| هي زينة العصر التي | في مصر مصباح الظلام |
| من يلتجي لجنابها | يحظى على نيل المرام |
| هذى ولية امرنا | وقرينة المولى الهمام |

الشهم ابراهيم من | خضعت له اسد الاجام
الاوحد الفرد الذي | قد كان للدنيا امام
قد كان افضل سيد | وابر من صلى وصام
ملك مهيب قادر | بطل عنيد لا يرام
فتح المدائن عنوة | بالحرب في حد الحسام
واذل فرسان المعا | مع في ميادين الصدام
ولقد اقر بفضله | وبيطشه الدول العظام
يفنى الزمان وذكره | يبقى على طول الدوام
ان كان عنا قد نأى | ومضى الى دار السلام
فاليوم انت مكانه | في مصر يا بنت الكرام
حزت المعارف والندى | والفضل من قبل الفطام
ماقام مثلك في الورى | بين النسا من الف عام
في الحلم والكرم الذي | يزري بامطار الغمام
واللطف والحسن الذي | يزهو على البدر التمام
لا زلت في عز وفي | جاه رفيع واحترام
ما لاح في اوج العلا | نجم وما ناح الحمام

وقلت ايضاً مادحاً اياها بهذه القصيدة ومعرضاً بذكر اوصاف بعلها الجليلة الحميدة

تسامى فخرها بنت الكرام | فحازت بالملا اعلى مقام

كريمة معشر من خير قوم لهم شرف وعز في الانام

وقد فاقت نساء الارض طراً بحسن الخلق والراي التمام

فلا عجب اذا افتخرت و باهت جميع الناس من خاص وعام

اليس ابعلها خضعت وزلت اسود الحرب في يوم الصدام

هو ابراهيم من حاز المعالى ونال المجد في حد الحسام

همام كان في الدنيا فريداً وركناً في المهمات العظام

ولا زالت وقائعه المواضي مخلدة على طول الدوام

وقائع لو راها الطفل يوماً لشاب لهولها قبل الفطام

لئن يك غاب ذاك البدر يوماً فأنت اليوم مصباح الظلام

وانت اليوم يا خشكار كهف وملجأ للضعيف المستضام

فلا زالت سعودك في ازدياد وقدرك بين اهل المجد سامي

ومهما مدحت واثنيت عليها فهو قليل بالنسبة اليها لان فضلها قد شاع وظهر وامتد وانتشر بين البشر كظهور القمر الذي لا ينكره الا فاقد البصر وهي مع علو شانها ورفعة قدرها ومكانها متصفة باللطف والانس ومكارم الاخلاق ووداعة النفس محبوبة من جميع الرعية مطبوعة على الخير وحسن الطوية فمن مشروعاتها الخيرية التى شيدتها في الديار المصرية عدة اماكن لاجل الاحسان وجامع في غاية الحسن والاتقان وغير ذلك من المشروعات الحسان غيرة منها لاعانة المحتاجين

وشفقة لاغاثة الفقراء والمساكين وجميعها تحت ادارة وكيل
دولتها ورئيس سرايـــة حضرتها سعادة الهمام الاكرم والليث
الغشمشم مصدر الحكم وبحر الكرم ابراهيم بك ادهم الذي
استولى هذا المقام بعد انتقال خليل اغا الى رحمة رب الانام
ولا يخفى ان سعادة البيك المشار اليه خلد الله سوابغ النعم
عليه من اعيان اهل الادب متفرد في المعارف ولغة العرب
فصيح اللســان قوي الجنان محمود السيره صافي السريره
وكنت قد تشرفت بمقابلة جنابه وشنفت مسامعي بلآلي درر
خطابه برفقة جناب الصديق الصادق والبدر المنير الشارق
اعني به الشاب الظريف والاديب الجيب اللطيف صاحب الرسائل
والتصانيف الذي اعتنى بشكل وطبع البخاري الشريف
واعانني على وضع هذا التاليف سني الهمم حميد المآثر والشيم
عزتلو محمد افندي مكاوي المحترم فانه من اعز اصحابه واجل
خلانه واحبابه فوجدته انيساً اديباً وفي العلوم بحراً عذيباً
تروق بطلعته الابصار والنواظر وتنعش بعذوبة الفاظه النفوس
والخواطر ومن اعجب العجب انه لا يصد احداً عن طلب لا سيما
من كان من اهل الادب فانه يبذل غاية جهده واستطاعه
في قضاء حاجته فرجعت شاكراً من الطافه وافضاله متعجباً
من كثرة ادبه وفصاحة مقاله فسبحان من اوجده منفرداً بين

اقرانه وامثاله

ومن يك مثل ابراهيم شهماً تليق له المدائح والتهاني

همام قد تفرد في البرايا بالطاف تفوق عن البيان

جميل الخلق ذو فكر مصيب بكشف الغامضات من المعاني

وقد جالسته فوجدت فيه مآثر لا يحصرها لساني

وقلت امدحه واهنئه بعيد الفطر حفظه الله بالعز والفخر على مدى الدهر

بمدح جناب ابراهيم ادهم زها شعري وقدري قد تعظم

هو البدر المنير بارض مصر وقهار العدى الليث الغشمشم

اذا افتخرت كرام الخلق يوماً فكان عليهم الراس المقدم

فلم يترك لمعن اليوم ذكراً ولا لربيعة ابن المكدم

اذا صدمت عزيمته بثيراً لمال وان لقى جيشاً فيهزم

فسل عنه العلوم وكل حبر غدا في علمه البحر العرمرم

وسل عنه الفوارس كيف ذلت لديه وسل اعاديه فتعلم

اذا طفت البلاد فلا تلاقي بالطف منه انساناً واكرم

تباهت مصر فيه واستنارت معالمها وفيها الانس خيم

الا يا من غدا للناس ذخراً ومصباحاً اذا ما الليل اظلم

اليك قصيدة غراء وافت تهني جنابك العالي المعظم

بعيد الفطر يا بدر المعالي تهنى فيه بالافراح واسلم

ومما قلته في جناب محمد افندي المذكور ادامه الله بالعز والسرور عَلَى مدى الاعصار والدهور

لله مكة زينة البلدان حرم الامان وكعبة الرحمن
بلد زهت في حسنها وجمالها وبها كرام الناس من عدنان
اهل المفاخر والفضائل والتقى واللطف والمعروف والاحسان
ناهيك منها محمد العلم الذي شاعت محامده بكل مكان
الاوحد الفرد الذي باهى الورى بفعاله وسما عَلَى الاقران
هذا الذي خضعت له اسد الشرى وفوارس الهيجاء في الميدان
قمر مافق المجد يسطع نوره في قطر مصر و سائر الاكوان
بحر العلوم وصاحب الحكم التي لم تروها الحكماء عن لقمان
الفاظه تسبي العقول ولطفه يشفي العليل وكربة الاحزان
نسخت فصاحته فصاحة من مضى في الناس من قس ومن سحبان
يكفيه تصحيح البخاري مفخراً مع شكله بالضبط والاتقان
لو رمت استوفي مديح جنابه بتمامه لصرفت فيه زماني
لا زال في جاه وعز باذخ طول الدوام عَلَى مدى الازمان

وقلت ايضاً اهنئه بعيد النحر وقاه الله نوائب الدهر

نلت المحامد يا محمد والثنا وبلغت من دنياك غايات المنى
والعيد زارك بالمسرة والهنا فتهنَّ وانحر كل اولاد الزنا

## الباب السادس عشر

### في ولاية حضرة عباس باشا وهو الخديوي الثالث وذكر ما جرى في ايامه من الوقائع والحوادث

هو ابن طوسون باشا بن محمد علي صاحب البطش الشديد والقدر العلي الذي حسنت مساعيه واشرقت شموس معاليه وطابت ايامه ولياليه فكان كما قيل فيه

راق الزمان واسفرت اوقاته عن طيب ايام وصفو ليالي
والدهر وافى بالمسرة والهنا وغدا يبشرنا باحسن حال
والكون قد سطعت اشعة نوره مذ لاح هذا الكوكب المتلالي
سعدت به الدنيا وقالت ابشروا بالفيض من احسانه المتوالي
أكرم به من دولة عباسها قد جاءنا بالفضل والافضال

تولى احكام الديار المصريه بعد انتقال حضرة ابرهيم باشا الى رحمة رب البريه سنة ١٢٦٥ هجرية الموافقة سنة ١٨٤٨ مسيحية

وكان قوي الجنان فصيح اللسان موصوفاً بالعدل والاحسان عظيم المهابة وافر العقل والاصابه عدل في الرعيه وسلك الطريق المرضيه وكان يحب الابطال وصناديد الرجال مغرماً بالخيل الاصائل والافراس الكحائل وكان قد حضر اكثر الوقائع في بر الشام مع جناب عمه ابراهيم باشا فارس الصدام

وقاتل فيها بهمة وعزيمة وفي ايامه جعل جمع العساكر بالمساواه بدون ادنى محاباة بين رعاياه كل فتى بما يوافق سنه وعمره حسب وقوع القرعة بالنمره ساوى في ذلك بين المملوك والمالك وقطع دابر المفسدين وقطاع الطرقات الذين كانوا يمخرقون في نواحي الشرقية وتلك الجهات واصبح الناس في امان في ذلك المكان من شر اهل البغي والعداون وكان الله سبحانه وتعالى قد رزقه ولداً كالبدر حسناً وجمالاً علي الهمة كثير الحكمة قد تفرد بفنون الادب وشاع فضله في العجم والعرب وهو جناب الامير ابراهيم الهامي صاحب الخلق الجميل والمقام السامي الذى فاق عَلَى اقرانه بمعارفه وفصاحة لسانه وفيه يقول شعراء زمانه

عام اتى بمسرات وانعام ... مبشراً بضيا الملك الهامي
مبشراً لوزير ضاء كوكبه ... بطالع السعد يزهو نجمه السامي
خلاصة المجد ريح الملك رونقه ... شمس المعارف افق السؤدد النامى
له الهناء بعام كله فرح ... ذي مبسم بوجوه الانس بسام

وكان قد زار الاستانة العلية سنة ١٢٧٠ هجرية واجتمع بالحضرة الشاهانية فانشرح منه السلطان عبد المجيد خان فزوجه بابنته وغمره بجزيل نعمته ومن ذلك قول بعضهم في حضرته

الهام باشا ادام الله دولته فريد عصر رفيع القدر والشان
كم مشكل غامض عن عاقل فطن ابداه الهام الهامي باملان
بشراه نجل العزيز الصدر ارخه بالسيف ملكاً مشيراً صهر سلطان

ثم رجع الى مصر بالعز والجاه والفخر وهو والد قرينة حضرة ولي النعم مولانا توفيق باشا الخديوي المعظم ادام الله لهما مزيد العز والنعم وقبل الفراغ من هذه الترجمة يجب علينا ان نذكر حضرة السيده الموقره المعظمه وهي الاميرة الشهيره ذات المكارم والمواهب الكثيره غرة جبهة الزمان والمحموده بكل شفة ولسان والدة الهامي باشا ساكن الجنان التي فاقت على اترابها بفضائلها وادابها و بذلها ونوالها وصلاحها وكمالها وكنت قد سمعت باوصافها الحميده فقدمت لها نسخة بالخط من هذا الكتاب مع هذه القصيدة عن يد فخر الذوات واكابر السادات وكيل دولتها ورئيس دائرتها سعادة احمد مظهر باشا بلغه الله من الخيرات ما شا وهي

الا يامن حوت حسن الصفات وشاع صلاحها في الكائنات
ومن اضحت بمصر اليوم ملجاً وبدراً في الليالي المظلمات
ومن خضع الزمان لها وذلت لهيبتها الاسود الضاريات
اليك قصدت عن ثقة لاهدي كتاباً من نفيس موءلفات

بديع الحسن لم ينشيه غيري ... من الادبا وسادات الرواة
وقد زينته وجمعت فيه ... مآثر كالنجوم الساطعات
مآثر من تولى تخت مصر ... من العظما وافراد الولاة
صرفت بجمعها زمناً طويلاً ... وكانت قبل ذلك في شتات
فارجو ان يصادفه قبول ... ويحظى اليوم منك بالالتفات
فمن لسواك نقصد في البرايا ... وانت بمصر بحر المكرمات
ملاذ الوافدين من اليتامى ... وكنز القاصدين من العفات
تقر بفضلك الشعرا وتثني ... عليك الناس من كل الجهات
فحاشا ان يخيب لديك راج ... ويشكو من صروف النائبات
فلا زلت لاهل الفضل كهفاً ... على طول الزمان مدى الحياة
وامرك نافذ بين الرعايا ... ومجدك فوق هامي النيرات

فصادف عندها القبول والاقبال وغمرتني بجزيل الانعام والافضال حفظها الله تعالى وابقاها ومن حوادث الدنيا وقاها هذا واني في غاية الممنونيه لصاحب الفتوة والحميه والهمة العليه محافظ سراية دولتها ورئيس اغوات سرايتها جناب الاديب الماجد المتحلي بحلل الكمال والمحامد فيروز اغا المحترم حفظه وصانه باري النسم فانه من اجل ادباء العصر وله يليق المدح والشكر واستمر حضرة عباس باشا بالولاية نحو خمسة اعوا ممدوحاً من الخاص والعام الى ان ادركه الاجل فانتقل الى رحمة الله تعالى عز وجل وتولى بعده

الهمام الفريد صاحب الصيت الحميد والرأي السديد الذي خضعت له ليوث البيد وزلت

لديه الفرسان الصناديد جناب عمر محمد سعيد



## الباب السابع عشر

### ذكر ولاية حضرة محمد سعيد باشا الخديوي الرابع وما اجراه في الديار المصريه من الاصلاحات والفوائد والمنافع

هو الكوكب الباهر وبحر الكرم الزاخر وفخر الاوائل والاواخر الوارث رتب المجد كابراً عن كابر والناهض برفيع سنيه لاعلى ذرى النجوم الزواهر وفيه يقول الشاعر

تباهت مصر وابتهج الصعيد ... بدولة من هو الملك السعيد

وماج النيل من طرب ولكن ... به حسد له مما يجود

هما في مصر رحمة كل ارض ... بها يخضر في الارياف عود

عزيز قد تسلسل من عزيز ... فكان لاصله المجد الوطيد

نجدد مدحه اذ كل يوم ... يجد لمدحه سبب جديد

علمنا انه سلطان مصر ... وكل رجال مصر له عبيد

ونعلم انه ركن عظيم ... لملك المسلمين غدا يشيد

لقد سعدت به مصر ونالت ... بدولته السعيدة ما تريد

لكل الناس عيد كل عام ... وفيها كل يوم منه عيد

تسلم زمام احكام الديار المصريه سنة الف ومائتين وسبعين هجريه فرفق بالرعايا وعدل في القضايا وجرد الهمة الساميه والعزيمة الماضية في نجاح العباد وتزيين البلاد واقتفى في هذا الاصلاح والنظام آثار آبائه الكرام حتى صارت بهمته المنيفه وحسن مساعي حضرته الشريفه مستنيرة الافاق دائمة الاشراق وكان جواداً كريماً عاقلاً حازماً حليماً وفي افعاله مدبراً حكيماً ذا حزم وفراسه ومعرفة باحوال السياسه وفضلاً عن بصيرته في الامور السياسيه له بصيرة عظيمه في علم العربيه واللغات الافرنجيه وهو الذي زين طريق المنشيه وجعلها من المتنزهات البهيه وانشاء التلغرافات والطريق الحديديه من مصر الى الاسكندريه وفي ايامه تحسنت الاحوال وكثر الغنى وازدادت الاموال ومن مزاياه الحسان تنظيم لائحة الاطيان الجاري عملها حتى الان قد اودع فيها جملة روابط وبنود حسماً للنزاع فجأت طبق المقصود وهو الذي سن الخفارة في البلاد لحفظ الاموال وسلامة العباد ورتب للخفراء عَلَى الناس جامكيه بموجب لائحة من طرف الحكومة السنيه وبهذه الوسيله حصل الامن والامان والراحة والاطمئنان في كل جهة ومكان حتى صار المسافر يجول بماله وحشمه لا يخاف الا الله والذئب عَلَى غنمه ومن مساعي حضرته وعناية دولته التي تستحق ان تكتب بماء الفضة عَلَى صفائح الذهب المشروع الجسيم والقصد

العظيم وهو وصل البحر المالح ببحر القلزم الذى كان شرع فيه الملك نيخو من الفراعنة والملك دارا من العجم قبل وقد كان سد في تلك الاحقاب لسبب من الاسباب ولما تملكت الفرنساويه الديار المصريه سنة ١٧٩٨ مسيحيه تذاكروا في هذه القضيه ذات المقاصد الخيرية فلم يتم لهم ذلك المراد لعدم مكنهم في البلاد واذ كان هذا الامر من اعظم الامور اهميه واعمها في المنافع والفوائد التجارية استدعى حضرته لهذا المشروع الحميد شركة الفرنساويه وصار ارسال صاحب الفتوة والحميه والاوصاف السنيه المهندس الشهير والحاذق الفطن الخبير موسيو دوليسبس ليناظر الاعمال على احسن حال واتم منوال وبالجملة فان جميع اعماله محموده ومآثره ظاهرة مشهوده لا ينكرها انسان ولا تحتاج الى دليل ولا برهان وكان مع هذه الاوصاف الحميده والمناقب الجليلة العزيزه في غاية الرقة واللطف جامعاً بين الناس والظرف ممدوحاً محموداً جميل الخلق مسعوداً سالكاً بتقوى الله رب العالمين يحب العلماء والشعراء ويكرم الادباء والفضلاء ويمدهم بهباته الوافره وصلاته الجزيلة المتكاثره وكان قد شرف بيروت المحميه سنة الف وثمانماية وتسع وخمسين مسيحيه فكان لحلوله فيها يوم عظيم الشان لم يسمع مثله من قديم الزمان ومما يستحق العجب انه كان حيثما ذهب ينثر في طريقه الذهب فكانت الناس تزدحم عليه وتلتقط من حواليه وتتعجب من عطائه

وفرط جوده وسخائه وتدعو له بطول العمر وتطنب في الثناء والشكر وقد وصف فقال من شاهد تلك الاحوال

يسير والذهب المنثور يتبعه مثل السماء ترش الارض بالبرد
فظنت الناس ان السحب قد فتحت بقدرة الله زاد الضرب في الجلد

وكان قد نزل خارج البلد في بيت الخواجات بسترس وهم من التجار العمد ولما تناول الطعام واستقر به المقام اقبلت عليه الشعراء وامتدحوه بالقصائد الغراء فمن ذلك قول الشيخ ناصيف اليازجي

قد اشرق النور في اكتاف لبنان اذ حل فيها الوزير الباذخ الشان
هو السعيد الذي الطافه اشتهرت كالصبح مستغنياً عن كل برهان
مهذب فاق في خلق وفي خلق كانه ملك في جسم انسان
له يليق بساط الريح في سفر لانه ليس ادنى من سليمان
يبيت كل وزير تحت رايته طوعاً ويصبو اليه كل سلطان
وحيثما حل حامت حوله زمر كالماء حام عليه كل انسان
لو تقدر الارض لما زارها فرشت قدامه الطرق من در ومرجان

وقال خليل افندي الخوري

بشرى لنا هذا النهار سعيد وافى به يحيي النفوس سعيد
مولى له المجد الرفيع مشيد فوق العلى والعالمون شهود

ومنها

شرفت بلدتنا فتاهت عزة · وشراع عزك فوقها ممدود
وغدا حمانا زاهراً ولفخره · في كل حي بالديار حسود
قد كاد يرقص بالسرور وانما · هاب المعالي فاعتراه جمود

وقال ابو حسن افندى الكستى

جاوزت بالصد حداً دونه العجب · عَلَى المشوق ولم يعلم له سبب

ومنها

كيف الخلاص ونار الوجد قد لعبت · بمهجتى وتولى نحوها النصب
وليس لي حيلة ارجو النجاة بها · الا مدائح من سادت به الرتب
عزيز مصر سعيد الوقت ذو شرف · الى علاه تناهى المجد والحسب
انا لنشهد منه كل مكرمة · لها المحامد دون الناس تنتسب
عن وصفه ومزاياه وانعمه · تقاصر الدر والأزهار والسحب
مآثر العز في علياه مشرقة · كالشمس لكن سناها ليس يحتجب

وقلت انا العبد الفقير في مدح جنابه الخطير

هل غير بابك في البرية يقصد · ام مثل فضلك في الخلائق يوجد
انت السعيد عزيز مصر وربها · ومليكها الفرد الفريد الاوحد
انت الهمام الماجد المولى الذى · كل البرايا من جنابك تحمد
فقت الاماثل رقة ووداعة · وكرامة لك بالفضائل تشهد
ان قلت قيساً كنت اذكى فطنة · او قلت حاتم انت منه اجود
ولقد حويت لطائفاً ومحامداً · يفنى الزمان وذكرها لا ينفد

منها

شرفتنا فتزينت اقطارنا وزهت معالمها وطاب المورد

وتنورت بيروت حتى اصبحت من نور مجدك كوكباً يتوقد

فشملهم بالاحسان والاكرام واجل عليهم ذيل الانعام واقام في بيروت ثلاثة ايام في سرور وانبساط تام ثم رجع الى مصر بسلام وبعد رجوعه بمدة قليلة افاض المواهب والانعامات الجزيلة عَلَى اصحاب المنازل والبيوت الذين شرف دورهم في بيروت وكانوا قد قصدوه ونالوا منه ما ارادوه فضربت بجوده الامثال وما زال في ارغد حال انعم بال الى ان انتقل الى رحمة رب العالمين سنة الف ومائتين وتسع وسبعين وكانت مدة حكمه تقريباً تسع سنين وبقي ذكره مخلداً عَلَى صفحات الايام مدى الدهور والاعوام ورثاه بعضهم بهذين البيتين تاريخ وهما

ذهب السعيد عزيز مصر طالباً عرش السماء فساد في الحالين

في تربة كتب المورخ فوقها نال السعيد سعادة الدارين

وكان قد رزقه الله ولداً ما انجبت الدايات مثله ابداً لطيف الذات حلو الصفات متصفاً بالفضل والكمال والحسن والجمال عفيفاً اديباً شجاعاً مهيباً فصيحاً لبيباً وهو جناب طوسون الذي تفرد بالمعارف والفنون واشتهر بالجود والكرم وعلو الهمم كاشتهار العلم وكنت عند زيارتي الديار المصرية سنة ١٢٩١ هجرية قد سمعت

بذكر حضرته ومآثر دولته وما خصه الله بسة من الالطاف ومحاسن الاوصاف فتشوقت نفسي الى لقاه وتشرفت بطلعة روءياه وقدمت له نسخة من كتابي طبقات الشعراء مع هذه القصيدة في مدح مناقبه الغراء معرضاً بها بذكر والده المرحوم المعظم الذي برز من عرينه هذا الليث الغشمشم

يمم حمى كعبة الامال والدين ... والهج بمدح وزير المجد طوسون

هو الوزير الذي شاعت لطائفه ... من مغرب الارض حتى الهند والصين

رب المفاخر محمود المآثر قهّا ... ر الجابر في وسط الميادين

اقامه الله ركناً نستعين به ... على الحوادث في امن وتأمين

تناول المجد ارثاً عن ابيه سعيد الذ ... كر من كان ركن المجد والدين

ذاك الخديوي الذي عمت مواهبه ... كل الخلائق من خاص ومن دون

ذاك الذي كانت الاساد ترهبه ... وتختشي باسه شم العرانين

تجمعت فيه كل المكرمات وقد ... تزينت فيه مصر اي تزيين

يفنى الزمان ويبقى ذكر دولته ... مخلد الاسم من حين الى حين

ان كان قد غاب عنا نوره ومضى ... فقد انار علينا نور طوسون

هذا وزير العلى المرفوع منصبه ... جاهاً وديوانه صدر الدواوين

هذا الذي لهجت في فضل حضرته ... وقبض راحته كل السلاطين

هذا الذي دأبه للناس منفعة ... وجبر قلب اليتامى والمساكين

يامفرد العصر في لطف وفي ادب ... وزينة الدهر في حسن وتحسين

لا زلت للمجد ركناً غير منهدم　　مؤيد العزم في عز وتمكين

فلما امعن النظر فيها وتأمل في عذوبة الفاظها ورقة معانيها وقعت عنده في حيز القبول وانعم علي بأحسن مأمول فشكرت احسانه وفضله وتحققت جوده وبذله وعلمت انه من افراد الرجال الذين خصهم الله بالفضل والكمال وبذل المال غير ان الزمان الذي ليس له عهد ولا امان ولا يراعي مقام اهل الجود والاحسان قد فجعنا بحضرته الان ورمى القلوب من بعده باسهم الاحزان على طول السنين والازمان وكان لما بلغني هذا الخبر شملني الغم والكدر وتأثرت كل التأثير نظراً لجميله وفضله الشهير فرثيته بقصيدة من اجود الشعر الحسن وانا يومئذ في الوطن منها هذه الابيات المستحقة بذكره التسطير والاثبات

زال الهنا والصفا من بعد طوسون　　فأي قلب عليه غير محزون
قد كان بدراً منيراً ساطعاً فمضى　　فيا لبدر بطي الارض مدفون
وكان عوناً لنا في كل نائبة　　ورحمة لليتامى والمساكين

تغمده الله برحمته ورضوانه واسكنه في اعلى غرف جنانه وعزى قلوب اهله وخلانه لا سيما حضرة زوجته الكريمة والاميرة الرحيمة العظيمة السيدة فاطمه الفخيمة ذات المآثر الباهره والمواهب الجزيلة المتفرعة من الدوحة الزكية الطاهره التي قد شاع في الافاق ذكرها وارتفع فوق السماكين فخرها صاحبة

المجد والاقبال ومعدن اللطف والكمال ومن يقول فيها لسان الحال

امیرة من ندا كفيها ماطرة سحائب الجود والافضال والنعم
تحصى الرمال ولا تحصى مآثرها وعزها فوق هام المجد لم يرم
تفردت في الورى بالمكرمات وفي حسن الصفات فاضحت زينة الامم

فانها كثيرة المواهب والصدقات ومن افاضل السيدات المعظمات فضلها لا يحصر ولا يحد وجودها لا يحصى ولا يعد حفظها الله تعالى وجازاها خيراً ولا اراها مكروهاً ولا ضيراً ولا زالت كواكب السعود زاهره وسحائب الجود من ندى كفيها ماطره ما شعشع القمر وهب نسيم السحر وا اسأل الاله الرحمن ان يديم لنا وجود الحضرة الاميرة العظيمه الشان عمدة السيدات المحترمات وكعبة المكارم والحسنات اللطيفة الذات المحمودة الصفات التي شاعت فضائلها في الكائنات وفاقت بالمواهب والمكرمات على كل من مضى وفات زوجة المرحوم المبرور حضرة سعيد باشا المذكور اعني بها بدر الدجى وحصن اللجا من اصبح الدهر بوجودها مبتهجا وحماها كهفاً وملجا لاهل الرجا السيدة انجا فانها جامعة الصفات الجميله والمآثر الحميدة الجليله فكم لها في الديار المصريه من المشروعات الخيريه والاثار الباهرة السنيه الصادرة عن حسن الطويه تكرم الادباء كما هو مشهور ومعلوم وتنفق

الاموال الجزيلة لنشر المعارف والعلوم وكنت قد قدمت لجنابها المعظم نسخة من هذا التأليف بخط القلم مع هذه القصيده عن يد وكيل دولتها صاحب الاوصاف الحميده الامير المكرم والهمام المقدم سعادة عثمان باشا الافخم فاستحسنتها كل الاستحسان وغمرتني

بجزيل الانعام والاحسان

سل الفضائل يوماً عن مزاياها ... واستخبر البدر عن اوصاف معناها

وسل جميع الورى ان كنت جاهلها ... تنبيك عن قدرها العالي وتقواها

هذي التي بالتقى والحلم ليس لها ... في الكون بين نساء الارض اشباها

فاقت عَلَى حاتم بالجود واشتهرت ... بين الملوك عطاياها ونعماها

فيها من اللطف اخلاق مهذبة ... هيهات في غيرها يا صاح تلقاها

لو رمت احصي سجاياها واحصرها ... لما قدرت عَلَى ادراك احصاها

وهل لمولاتي انجا من يماثلها ... في حزمها ومعانيها وجدواها

اميرة لم تدع في المجد مكرمة ... الا حوتها وباهت كل من باها

نقية درة ذات مطهرة ... من معدن اللطف رب العرش سواها

مهيبة في عيون الناس قاطبة ... فالاسد ترهبها والدهر يخشاها

تهوى البدور لها طوعاً وتخدمها ... مدى الدهور وعين الله ترعاها

لو شاهدت عزها بلقيس ما فتخرت ... ولا زبيدة يوماً عند رؤياها

باهت بها مصر وابيضت بطلعتها ... سود الليالي وعم الخصب يداها

يابنت خير كرام الناس من نهدت بفضلها الخلق اقصاها وادناها

اليك سفراً لقد اودعته شرفاً في ذكر بعلك من فاق الورى جاها

اعني السعيد الذي الدنيا به ابتهجت من كان في مصر واليها ومولاها

اودعت فيه من الاشعار اجودها ومن مآثر اهل الفضل اثناها

يرجو القبول لديك اليوم سيدتي اذ انت احرى الملا فيه واولاها

من رام عزاً ومجداً سامياً وغنى من غير فضلك يا انجا فقد تاها

لا زلت كهفاً لاهل الفضل قاطبة وكعبة لبني الامال تغشاها

هذا واني ارى نفسي مهما مدحت ووصفت في حضرتها وشرحت لا اقدر ان اقوم بالفرض الواجب ولا استوفي بعض ما لدولتها من المآثر والمناقب فلا برحت الايام مشرقة بكوكب سعدها والليالي منيرة ببهاء مجدها على طول الدوام ما ناح الحمام ولاح بدر التمام

## الباب الثامن عشر

ذكر ولاية اسماعيل باشا العظيم الشان نجل المرحوم المبرور ابراهيم باشا ساكن الجنان

هو بدر الاكوان وكعبة المجد والاحسان والجوهرة الثمينة في هذا الاوان مرغم انوف الجبابره معفر جباه الاسود الكاسره الذي ابتهجت بايامه دولة العرب وعلا قدر الفضل والادب حضرة

سيدي ومولاي اسماعيل باشا المشار اليه من جعل الله مقاليد الكمال والسيادة طوع يديه جلس عَلَى سرير القاهره وبلغ القصد والارب وارتقى في المعالي الى اعلَى الرتب في اليوم الثامن والعشرين من رجب سنة الف ومأتين وتسع وسبعين هجرية الموافقة لسنة الف وثمانمئة واثنين وستين مسيحية فتباشرت الناس بولايته وقدمت الشعراء المدائح والتهاني لسيادته ولله در القائل في حضرته

| | |
|---|---|
| يامصر قاهرة الدنيا بسطوتها | قد جدد الله من ايامك الاول |
| دار الخلافة عادت فيك قائمة | كما اقتضت حكمة الرحمن في الازل |
| قد كان في مصر نيل واحد قدماً | فزادها الله نيلا مطفى الغلل |
| قام المظفر اسماعيل منتصباً | في عرشها كقيام الشمس في الحمل |
| لاحت طوالعه فيها فقلت لها | ياأسعد الارض هذى اسعد الدول |
| هذا العزيز ابن ابراهيم نسبته | تصاغ من اولياء الله والرسل |
| فيها الخليل واسماعيل قبلهما | محمد جاء مضموماً اليه علي |
| هذا ابن من صيته قد طار منتشراً | في الشرق والغرب مثل السبعة الطول |
| لو كان في ارضنا طرف الى زحل | كان انتها صيته منها الى زحل |
| واليوم قد قام اسماعيل يخلفه | في الحزم والعزم بين القول والعمل |
| كانت شمائله كالزهر نافحة | فانحت من جناها صفوة العسل |

فسلك السيرة المرضيه وجرد الهمة العلية في تزيين الاقطار المصرية بالابنية الجميله والمشروعات الخيرية فما شرع به وانشاه

حفظه الله وابقاه ورفع مجده وسناه اقامة المنارات في البحر الاحمر
لوقاية السفن من الخطر والضرر واصلاح الطرق والترع وتحصين
الابراج والقلع وادخال مجاري المياه لمصر وايصال التلغراف للسودان
وجهات القطر واعادة دار الطباعه ببولاق لانتشار الاداب في
الافاق وتنظيم المجالس و بنيان المدارس ورفع السخرة عن الفلاحين
وتأسيس معامل العرق والكراخين ولا سيما طريق السودان الحديدية
التى هي من اعظم المشروعات الخيرية لتسهيل سبل التجار
وانتشار المعارف بين الشعوب والطوائف الذين استباحوا المعاصي
واستحلوا المنكرات وصرفوا زمـانهم بالحروب والغارات وهو
الذي بنى مدينة الاسماعليـه وزخرف حديقة الازبكيـه ذات
المحاسن والمناظر البهية جلب اليها من كل انواع الاشجار
واجرى في خلالها الجداول والانهار وزينها بنغمات الموسيقى
وانواع الالحان حتى صارت كفردوس الجنان يأتيها المتفرجون
من ابعد مكان . واباحها لكافة الناس من جميع الاجناس
يجولون فيها في الليل والنهار يسمعون الغناء و يتناقلون الاخبار
فهنيئاً لكم ياشبان مصر وطوبى لكم ياظرفاء العصر على هذه
المنتزهات والفرج التي تزيل الهموم وتنعش القلوب والمهج
ومن فضله المأثور احداث وابور النور الذي سطعت انواره
البهية الباهرة في الاسكندرية ومصر القاهره فاسفر نورهما

بعد الظلام واستنارا وصار ليلهما نهاراً وبذلك أمن التجار
عَلَى حوانيتها وارباب الصنائع من شر اللصوص في الاسواق
والشوارع ومن جملة مساعيه التي تستحق الذكر جيلاً بعد
جيل هو ما اظهره من مزيد الهمة في دفع اضرار النيل
الذي كان قد زاد فيضانه سنة الف ومائتين واحدى وتسعين
دون باقي الاعوام والسنين حتى كاد يبتلع السهول ويطوف
عَلَى القرى والحقول فلولا عناية دولته والتفات حضرته لعم
بلاه وزاد شره واذاه واضر بالمزروعات وعطل المواسم في
اكثر الجهات فبادر جنابه بالعجل وارسل لهذا العمل نحو
مائتي الف نسمة من الفعلة والخدمة لصد هجمات مياهه
المتراكمة ودفع عزم امواجه المتلاطمه بفتح الترع الوسيعه
واقامة الحواجز المنيعة وبعد بذل الجهد ومقاساة التعب والكد
ارتفع الضرر بعد ذلك الخطر واصبحت البلاد في امان من
هول ذلك الطوفان وهذا العمل حرك اكثر الناس ان
يصنعوا لحضرته تمثالاً من النحاس وينصبوه في مدينة
الاسكندرية اظهاراً لحاسيات الشكر والممنونية وتذكاراً لما
بدى من حضرته السنيه وهمته العلية من السعي والاجتهاد
في كف الضرر عن البلاد ومن مساعي حضرته الجميلة
وعنايات دولته الحميدة الجليلة التي تستحق ان تذكر وصل

البحر المالح ببحر الاحمر الذي كان قد شرع فيه على اتم
كيفية واحسن حيثية حضرة المرحوم المبرور سعيد باشا
صاحب الفضل المشهور وان كانت الاحكام الربانية والتقادير
الرحمانية امراً لا بد منه ولا سبيل عنه وكان وقتئذ قد
حان القدر المقدور انتقل الى رحمة ربه الغفور تغمده الله
بالرحمة والرضوان وسقى ثرى رمسه غيث النعم من اعلى
غرف الجنان ثم لما اكتمل هذا المشروع وتم في ايام حضرة
اسماعيل باشا ولي النعم استدعى من اوروبا جميع الملوك
وعظماء الدول لمشاهدة نجاز هذا العمل واعد لهم في ذلك
المقام كل مايلزم من مزيد الاكرام فحضر بعضهم الى هذه
الوليمة البهية وشكر كل حسن مساعيه السنيه والذي لا
يمكنه الحضور اما لعذر واما لقصور ارسل احد نوابه
لمقابلة رفيع جنابه فاستقبلهم احسن استقبال مستطاب وحلوا
عنده محل القبول والترحاب وقد ابتهجت نواظرهم وانشرحت
صدورهم وخواطرهم بما شاهدوه من حسن الترتيب والنظام
وما انطوى تحت ذيل مشروعاته من مزيد العناية والاهتمام
وكان قد اعد لهم وليمة من افخر الولائم ما سمع بمثلها قط
بين الاعارب والاعاجم تطيب بها الخواطر والانفاس وتسطع
حولها لوامع انوار الجلاس حتى كانت بهجة للنواظر ونزهة

للخواطر لعمري انه بحر الكرم الزاخر ونخر الاوائل والاواخر وكنت عند زيارتي الديار المصرية سنة ١٢٩١ هجرية قد تطفلت عَلَى دولته العلية بتقديم نسخة من كتابي روضة الادب في طبقات شعراء العرب مع نسخة بالخط من هذا التاليف الى ساحة بابه العالي المنيف فصار قبولها عند جنابه الشريف واستدعاني للدخول والحضور وقابلني بوجه يتلالاء منه النور وامرني بالجلوس امام جنابه وآنسني بكلامه وخطابه والبسني بلطفه المشهور حلل الفرح والسرور ثم انعم علي بوسام المجيديه من رتبة سنيه فشكرت احسانه وفعله وخلائق حلمه وفضله هذا وقد شاهدت من حلمه ووداعته ومكارم الاخلاق سيادته ما يعجز عن وصفه اللسان ولا يستوفيه قلم ولا ديوان ولا ينكره قط انسان

هذا الخديوي الذي الطافه اشتهرت ... وذكره شاع بين الناس محمودا
ترنمت بثناه الخلق قاطبة ... ورددت حمده الافواه ترديدا
انشى بني العرب اسماعيل من قدم ... واليوم نال باسماعيل تجديدا
احيا العلوم التي اعتزت بهمته ... فخراً وشيد مجد العرب تشييدا
طابت بطلعته الايام وافتخرت ... حتى غدا كل يوم عندنا عيدا
اين الفراعنة الاقيال من ملك ... القت اليه يد الملك المقاليدا
لو شاهدت عزه السامي عيونهم ... يوماً لاطرقن اجلالاً وتمجيدا

واستمر بالولاية ثلاث عشرة سنة وكسور ثم انفصل عنها لبعض اسباب وامور وتولى الاحكام من بعده حضرة الامير توفيق باشا ولي عهده الذي ابتهج الزمان بأيامه وراق منهل الحلم والامان بحسن احكامه

## الباب التاسع عشر

### ذكر ولاية حضرة مولى الموالي وصاحب القدر العالي محمد توفيق باشا الخديوي الحالي ادام الله ايامه بالعز والاقبال على مدى الدهور والاجيال

الحمد لله العزيز الجبار الذي لا تدركه العيون والابصار ولا تهتدي الى معرفة صفاته العقول والافكار وصلى الله على النبي المختار وعلى آله واصحابه الاخيار ما غنى الهزار واشرقت شمس النهار اما بعد فيقول المرتجى محو المساوي محمد ابن علي بن محمد الشهير بالمكاوي هذا باب عقده المؤلف حفظه الله وبلغه من الخيرات ما يتمناه في ذكر مآثر حضرة ولي النعم ورب المجد والكرم محمد توفيق باشا الخديوي المعظم وقد طلب مني ان ازينه بما اعهده من مناقب دولته واذكر فيه ما اجراه من الاصلاحات في مدة ولايته لكوني من ابناء الديار المصرية ولي معرفة وفيه بمآثر حضرته السنية فاجبته الى المطلوب فجأ طبق المرغوب . جلس متعه الله

بالعز والاقبال عَلَى كرسي الخديوية المصرية في اليوم السابع من شهر رجب سنة ست وتسعين ومايتين والف هجرية بعد انفصال حضرة والده عنها لاسباب لا استطيع ذكر شي منها فكان ذلك خيراً والخيرة في الواقع ولو اطلعتم عَلَى الغيب لاخترتم الواقع آلت لحضرته بنص فرمان الوراثة الاخير الذي يشير بانحصارها في الابن الكبير من اولاد ولي الامر واستمرارها كذلك عَلَى مدى الدهر فتخلق باخلاق الخلفا العادلين واتقن قواعد الرياسة بالحزم والراى المتين وقلع اساس المبتدعين وقطع دابر الملحدين ونفى جمال الدين الافغاني ذلك الملحد الجاني وفي ايامه تشيدت دعائم الدين وقويت عصابة الموحدين وعمرت المعابد والمساجد وكثر الراكع والساجد اذ الناس عَلَى دين ملوكهم يقتفون آثارهم في اعمالهم وسلوكهم فاقسم بالله وأياته ومشعر الحج وميقاته انه لم يقم في مصر ملك مثله يحامي عن الدين ويعظم اهله ويقابل الناس بوداعة النفس ويواظب عَلى الصلوات الخمس قد صلى الجمعة الاولى من جلوسه في جامع سيدنا الحسين ابن بنت المصطفى امام الحرمين ومن محاسنه العظيمه ومكارم اخلاقه العميمة التى تستحق الذكر عَلَى مدى الدهر تخفيف رسم التذاكر المفروض عَلَى كل مسافر من الوافدين الى هذه الديار من جميع النواحي والاقطار بعد ان كان يوخذ من كل انسان سبعون غرشاً بلا

زيادة ولا نقصان فانزلها الى ثمن هذه القيمه وهذه رحمة عظيمة
ومنة جسيمة وفي ايامه تعدلت جباية الخراج عَلَى احسن
اسلوب واقوم منهاج وتقسطت عَلَى كل انسان بحسب ما يملك
من الاطيان وذلك بموجب حكم وقرار يدوم عَلَى مدى الاعصار
فامسى الفلاح مطمئن البال بعد ان كان يقاسي الاهوال واشد
المشقات الثقال من جباة الاموال لالتزامه اقتراض النقود من
صيارفة الافرنج واليهود تحت ربا فاحش ومتاعب غير قليلة
حتى يتخلص من تلك الورطة الوبيلة فجزى الله الخديوي خيراً
ولا اراه في انجاله يوماً ضيرا واحسن له العاقبة في الحال
والمآل كما اراحنا من ثقل تحصيل الاموال وهذه يا صاح وسيلة
النجاح فانها من اهم الامور الكبار لتحسين البلاد وتقدم العمار
ويكفيه من الفضائل تسوية الديون السائرة بعد ان كانت
اربابها مضطربة حائرة وذلك لعدم دخولها تحت قاعدة وتأخير
دفعها من الحكومة بلا فائدة فجمع اسعده الله نواب الاول وعقد مجلساً
لم يسبق في عهد الاول حصرت به الديون الميرية عَلَى طريقة
عادلة مرضية وتعدلت ميزانية الصرف والايراد بالحالة الممكن
بها السداد ورتب قانوناً للعسكر الجهادية حدد لهم فيه التعيينات
الشهرية وما يلزمهم من النفقات والجامكية وحصر عددهم برأيه
السديد بحيث لا ينقص ولا يزيد ومما اجراه من العدل والانصاف

ارجاع ما كان ماخوذاً من اموال الاوقاف ومن بيت مال المسلمين ومن الايتام والمحتاجين وصرف لكل ماله وما كسب ورفع المظالم والكرب وكان سبباً لرجوع الثروة الى مصرنا فزال الفقر وكثر الغنى وبلغت الناس غاية المنى بعد التعب والعنا فلله دره من بطل همام وليث باسل ضرغام على هذا الاعتناء والاهتمام الذي لم يسبقه عليه احد من الملوك والحكام وكنت عند جلوسه على كرسي الولاية امتدحته بقصيدة بلغت من الحسن النهاية منها هذه الابيات وقاه الله شر النائبات اقول

ثغر المعالي قد بسم والقطر شعشع وانتظم
والعدل وافى مقبلا والظلم ولى وانهزم
والخير اصبح دافقاً والناس امست في نعم
وديار مصر تزينت لما خديوينا حكم
توفيق باشا من غدا فخر الخلائق والامم
ما قام وال مثله بين الاعارب والعجم
خضع الزمان لامره واطاعه فيما رسم
بشرى لكم يا امة الا سلام في هذا العلم
هذا الذي في حكمه ترعى الذئاب مع الغنم
وبحسن مشروعاته احيا البلاد من العدم
غوث الفقير المنصف الـ مظلوم ممن قد ظلم

ليث العدى غيث الندى نور الهدى بحر الكرم
حاز الفضائل كلها وجميع اسرار الحكم
وسما بهمته على اهل المعالي والعظم

وهي قصيدة طويلة ضمنتها اوصاف حضرته الجميلة وبالجملة فان فضائله لا تنكر والطافه لا تعد ولا تحصر فنسأل الله ان يديم ايامه وعدله وان يكثر في ولاة الامور مثله فحدث ياصاح بمزاياه وافتخر وقل ان جناب خديوينا للفضل مبتكر يلتقى الوفود بالبشر والترحاب ويحادثهم بالحكمة وفصل الخطاب ولقد حظيت بالمثول بين يديه عدة مرار وشاهدت طلعته المشعشة بالانوار وسمعت الفاظه العذبة الشهية ومعانيه الساميه السنيه فوجدت فيه من الحلم وكرم الاخلاق ما لم يوجد في غيره على الاطلاق وهو مع هذه الرتبة العلية لا يفتر عن صوالح الرعية والاعتناء بالمشروعات الخيرية ونشر الشرائع والاحكام الدينية قد اتقن اللغة التركية والفرنساوية وترقى في العربيه وباقي الفنون الادبية الى اعلى درجة سنيه يحب العلماء الفاضلين ويقتفي آثار الصالحين وينفق امواله على الفقراء والمساكين فهنيئاً لمصر في هذا العزيز الذي رفع مقام الكتاب العزيز واتانا بعدل عمر ابن عبد العزيز وكنا لا نعرف العدل الا في التواريخ والسير وها هو بيننا اليوم قد ظهر وانتشر ولقد اتسع بيمينه نطاق العلم والمعارف

وازدادت الارزاق وكثرت الوظائف وظهرت الجرائد ناقلة الاخبار
في اقطار الديار واضاء الوطن بكوكبها واستنار وانتشرت وقائع
اللطائف في الاسكندرية المحروسة وكانت مصر من عهد الاهرام
غير مأنوسه وثبت تقدم عصرنا الجديد بالدليل والبرهان وازدهت
مصر تيهاً عَلَى باقى الممالك والبلدان ومن جملة مشروعاته تاسيس
الجمعيات لقيام المدارس وتوزيع الحسنات ودفن الفقراء ومعالجة
المرضى في المستشفيات تحت ادارة الكوكبين النيرين والاسدين
الضرغامين حضرتي نجليه الاميرين العظيمين وهما الامير عباس
والامير محمد علي صاحبا المجد والقدر العلى اولهما ولى العهد سمي
جده وثانيهما نعم الكريم مفتخراً بجده فالى عباس البطل الاغلب
المقاصد الخيرية تنسب لانه همام اديب مهذب نائبه وزير في
العلا سامي اسمه محمود وهو لقطرنا حامي ناظر الجهادية والبحريه ذو
الهمة العلية والفصاحة والقريحة الذكية ولمحمد علي بتوفيق
ابيه الخيري جمعيه اساسها مقبل بحسن التوجهات الخديوية وقانونها
جامع لفعل الخير والبر موءلفة من اعضاء ذوي فضل وقدر
والفقير من اول موءسسيها ولا فخر ولما صدر الامر عَلَى قانونها
بالقبول صنعت ليلة انس حضرها الادبا الفحول يتقدمهم الاديب
الفاضل والخطيب الذي ليس له مماثل عبد الله افندي نديم
الخطابة وتلميذه نبيـه تلوح عليه دلائل النجابه وتعززوا

باديب من بني اسحاق الذى شاع ذكره في الافاق وكان ذلك بمحضر من العلماء والذوات الاكابر والبعض من الباشاوات ارباب المناصب والمفاخر فافتتح الخطبة نديم افندي المذكور وابدى لنا من فصاحته ما حير عقول الجمهور ثم اعقبه اديب واتى بالعجب العجيب من فصاحة الخطاب والحديث المستطاب حتى انبهرت الافكار والالباب ثم عاد النديم ودعا التلميذ للخطابه فلباء طوعاً وبادر بالاجابه فوقف وانواره ساطعه وشنف مسامعنا بكلماته الجامعة ولما تصف الليل وذهب اكثر الحاضرين وافى ليث العرين وعمدة العلماء البارعين صاحب الفضل المبين والراى الصائب المتين جناب الفاضل محمد عبده وكنا لقدومه منشوقين ومنتظرين فافتتح الكلام بخطبة ادبية ضمنها من الوقائع المصريه والالفاظ العذبة الشهية ما شفى العليل واروى الغليل وعاد الاولون للقول بالتكرار حتى خلنا ان الفجر استنار ودعا الجميع لخديوينا بالتوفيق والاقبال مع امراء العساكر وقواد الابطال حتى تخيلنا هيئة اروبا في بلادنا وان القوم صاروا عبيداً لنا كل ذلك بفضل خديوينا المطاع من اشتهر فضله وذاع وذكر عدله ملاء السهول والبقاع ودليل ذا تقدم الجمعيات والعلوم ولا ينكر الحق الا كل غاشم ظلوم فسال المنارب الياس والخضر ان يديم الملك في عقبه مدى الدهر

# فصل

## في ذكر اقاربه الاعاظم اصحاب الفضائل والمكارم

فمن اقاربه العظام الذين زهت بوجودهم الليالي والايام وشهدت بفضلهم سادات الانام كل همام موصوف وبدر تم لا يعترى اشعة مجده خسوف اولهم شقيق حضرة الخديوي الامير محمود قهار الاسود ومعدن اللطف والجود حفظه وصانه الاله المعبود وبعده نجلا المرحوم احمد باشا عمه الاكبر اللذان فضلهما بين الناس لا ينكر وهما الاميران الشهيران والسيدان المنيران دولة ابراهيم باشا صاحب الجاه والفخر واخوه احمد باشا غرة جبين هذا العصر ايد الله بالعز ايامهما ونشر على هام المجد اعلامهما ثم انجال عمه المرحوم مصطفى باشا فاضل الذي كان مصدر المكارم والفضائل ويعجز عن وصف مآثره كل قائل اكبرهم عثمان باشا ونعم عثمان فاق بحسن اخلاقه كل انسان وتفرد بالمناقب الحسان على الاقران ويليه في الفضل والادب كامل باشا وهو جدير بهذا اللقب وابراهيم ومحمد على تمام الاربعة ارجو لهم من المولى زيادة السعه وان يفيض عليهم من جزيل انعامه الخيرات المتنوعه ومن الاقارب ذوي الارحام اصحاب الفضل والاحترام الحائزين كرم الاعراق دون الانام

ابناء الاميرين الجليلين والمشيرين العظيمين احمد باشا يكن واخيه ابراهيم باشا قرة العين اولهم صاحب الدولة والاقبال المتحلي بحلل الفضائـل والكمال ليث النزال وغيث النوال الذي لا تحصى مناقبه ولا تستقصى مواهبـه بدر البدور ومدبر امور الجمهور المحمود المشكور من اسمه بالفضل يحيى وهو منصور لا زالت ايامه في نعيم وسرور عَلَى طول الازمنة والدهور ولقد قلت فيه دامت مكارمه ومعاليه

هذا فريد العصر منصور الذي باهت به ايامنا والاعصر

في الحلم معن في المكارم حاتم في الرأي قيس في الشجاعة عنتر

لا زال منصوراً عَلَى اعدائه طول الزمان وبالمقاصد يظفر

ثم صاحب العفة والمهابة والفخر الجلي سمي المرتضى حيدر قدره على له همم بين الاقران عليه ومآثر باهرة سنيه سيأتي ذكره مع الوزراء وهو ناظر المالية ولقد قلت فيه هذه الابيات مع قصوري عن حصر ما اتصف به من حسن الصفات

حاز المكارم والمحامد حيدر وبمدح حضرته اللسان يقصر

الماجد المفضال والسند الذي كل القلوب له تميل وتشكر

هذا الذي باهى الانام ومن له في امة الاسلام فضل يذكر

بطل تذل له الاسود وتختشي سطواته كل القروم وتحذر

واذا تفاخرت الكرام وجدتها في بابه السامي الذرى تستصغر

ثم جناب خليل باشا الامير الجليل والحاذق الفطن النبيل الذي هو للانام صديق وخليل وليس له في الاقران من مثيل يستوى عنده الحقير والجليل ذو المآثر الحميده الجميله الحائز لكل مكرمة وفضيله وهو وكيل الداخلية الجليله ادام الله ايامه ورفع مجده ومقامه

فاق الاماجد بالكمال خليل فله يحق المدح والتبجيل
هذا وكيل الداخلية من غدا بين الورى سامي المقام جليل
ذو همة علوية وعزيمة لو صادمت جبلاً لكاد يميل

ولا تنس داود باشا فخر الورى ولا تذكر ما قد جرى فهؤلاء وباقي اخوتهم الافاضل حازوا بقرابتهم لحضرة الخديوي كل الفضائل وما غاب عن هذه الديار من ارباب الشرف والفخار منهم صاحب الفضل العميم والخلق الجميل الكريم جناب محمد باشا عبد الحليم ثم باقي انجال جناب اسماعيل باشا الخديوي السابق الذي شاعت فضائلهم في المغارب والمشارق وهم الامير حسين وابراهيم وعلي وفوءاد وحسن اصحاب الخلق الجميل والصيت الحميد الحسن

## الباب العشرون

في ذكر امراء الحكومة المصريه وارباب المكارم والمآثر السنيه اولهم الوزير الشهير والقمر الباهر المنير الذي فاق بمآثره

كل امير ووزير وسما على الاقران وارتقى رتبة المشير صاحب الدولة والاقبال محمد شريف باشا الهمام المفضال مناقبه لا تحصى ولا تعد وشرف نفسه اشتهر وفاق الحد وهو مع رياسته للنظار ونظارته للداخلية له التصرف العام في جميع الحكومة المصريه اسأل الله ان يحفظه ويبقيه ويزيد في سموه ومعاليه ومماقلت فيه

هذا الشريف الذي الرحمن شرفه	وخصه بجميل الخلق والشيم
وقد تفرد في حسن الصفات وقد	فاق الاماثل في حزم وفي همم
وقام في مصر هذا اليوم منتصباً	للحق والعدل والانصاف والكرم
عناية الله ترعاه وتحفظه	مدى الدوام بعز غير منصرم

ومنهم

صاحب رتبة الصديق وافضل من تولى نظارة على المالية بالتحقيق سعادة حيدر باشا يكن محبوب جميع المصريين واكابر اهل الوطن تقدم ذكره مع اقارب خديوينا المحترم حفظه الله

ومنهم

الامير الماجد مصدر الفضائل والمحامد ذو الرأي السديد والبطش الشديد الذي خضع الزمان لامره ولهجت الالسنة في مدحه وشكره البطل الهمام والشجاع المقدام الرفيع المقام الحامي القطر يوم الصدام بحد الحسام صاحب الهمة العليه والاوصاف الحميده المرضيه سعادة محمود باشا سامي ناظر الجهاديه البرية والبحرية

وقد تقدم ذكره في الكلام على جمعية المقاصد الخيرية وقاه الله شر كل بؤس ورزيه

تهيم بذكر محمود البرايا على ما فيه من حسن السجايا
اشد الناس في الهيجاء بأساً واعلى همة واسد رأيا
اذا شهد القتال وكر يوماً اذاق عدوه كأس المنايا

ومنهم

عمدة الامراء الكرام وخلاصة الكبرأ العظام من زهت بنور طلعته الايام وشمل انعامه الخاص والعام فريد العصر والاوان ومعدن الفضل والعرفان الذي تتحلى بحسن اوصافه بطون الدفاتر وتخضع لهيبة عزه الاسود الكواسر سعادة محمد قدري باشا ناظر الحقانيه حفظه الله وصانه رب البريه امين

همام قد حوى لطفاً وظرفاً وفاق الناس في جاه وقدر
وقد شاعت فضائله جهاراً كضوء البدر في الافلاك يسرى

ومنهم

بدر المعالي ونخر الموالي المحبوب من جميع الاهالي من اتصف بالفراسة وحسن السياسه صاحب الهمة العليه سعادة مصطفى باشا فهمي ناظر الخارجية حفظه الله ووقاه وزاد مجده وعلاه

ومنهم

الهمام العارف بحر المعارف وكنز اللطائف صاحب الاوصاف

البديعه والمراتب السامية الرفيعه سعادة اسماعيل باشا بلغه الله من الخيرات ما شا

ومنهم

الهمام المكرم والشجاع المقدم صاحب المحاسن والالطاف سعادة ذكي باشا ناظر المعارف والاوقاف حفظه الله وبارك فيه وبلغه ما يتمناه

ومنهم

فخر الذوات الحميد الصفات اعني به صاحب الاخلاق الزكيه ورئيس كتاب الحضرة الخديويه الهمام الموقر المفخم سعادة طلعت باشا المكرم لا زالت انوار لطائفه عابقة ساطعه ولا برحت شموس عوارفه في فلك السعادة شارقة طالعه

ومنهم

الامير الخطير والبدر المنير ليث المعامع وقهار المواكب والطلائع بسيفه الماضي القاطع في ساحة الوقائع الذي ليس له في الفروسية من منازع سعادة ذو الفقار باشا تشريفاتي الحضرة الخديوية لا زالت ايامه في سرور ورفاهيه

ومنهم

الحسام البتار والبطل القهار سامي المجد والفخار وزينة الامراء والنظار الذي شاعت فضائله في الاقطار وكرعت من مناهل صافي

جوره العبيد والاحرار سعادة خيري باشا المهردار حفظه الواحد القهار

ومنهم

البطل الهمام وليث الصدام صاحب القدر العلي سعادة احمد باشا الدراملي محروساً محفوظاً وبعناية الله موءيداً ملحوظاً

ومنهم

فخر الامراء والاعيان صاحب الفضل والاحسان الذي شاعت الطافه في كل مكان ولهج بمدح جنابه كل انسان سعادة حسين باشا الدراملي حفظه الاله الرحمن

ومنهم

البطل المغوار والاسد الكرار صاحب البطش والاقتدار والجاه والاعتبار الذي اشتهر بالكرم ومحاسن الآثار وافتخرت به مصر عَلَى جميع الاقطار مصطفى باشا الخزندار حفظه الاله الجبار عَلَى مدى الدهور والاعصار

ومنهم

الهمام الاكرم والليث الضيغم المحمود بين جميع الامم المتصف بالاستقامة وعلو الهمم سعادة محمد توفيق باشا الافخم حفظه باري النسم

ومنهم

البطل الصنديد ونخبة الامراء الاماجيد صاحب البطش الشديد والراي السديد سعادة احمد باشا رشيد لا زال مقامه في علو ومزيد

ومنهم

الامير الجليل صاحب الخلق الجميل والفضل الجزيل سعادة ابراهيم باشا خليل ادام الله رفيع مجده وزاد في عزه وسعده واقر عينه بمحمود بك نجله وجعلهما في عز واقبال مدى الايام والليال

ومنهم

نخبة الامراء الكرام وزينة الليالي والايام صاحب الجاه والاحترام من يباهي به الدهر وتفتخر به ديار مصر الاسد الغشمشم وبحر الجود والكرم الجامع بين شرفي السيف والقلم سعادة علي جلال باشا الانجم نجل المرحوم المبرور احمد باشا المنكلي المشهور حفظه الاله الغفور ولا زالت ايامه في عز وسرور

ومنهم

عمدة الامراء الافاضل وخلاصة الكبراء الاماثل من اتصف بعلو الهمه وحسن الدرايه سعادة راغب باشا لا زال محروساً بعين العناية

ومنهم

الهمام الفاضل البليغ المتحلي بمحاسن الخصال بدر الديار المصرية ومحيي العدالة الكسروية الذى تعطرت البلاد بن حسن سيرته وشاعت في الاقطار لطائف حضرته سعادة عمر باشا لطفي محافظ الاسكندرية اطال الله عمره ووقاه كل شر وبليه

ومنهم

الهمام المحترم صاحب البند والعلم وبحر الجود والكرم سعادة ابراهيم باشا ادهم حفظه الله تعالى وزاده عزاً وافضالا

ومنهم

الليث الاروع والبطل السميذع قهار الجبابرة الغطاريف وصاحب القدر السامى المنيف سعادة علي باشا شريف لا زال محروساً بعناية ربه اللطيف

ومنهم

ذو القدر الرفيع والخلق الجميل الوديع الذي فاق عَلَى اقرانه بحسن سياسته وقوة جنانه صاحب الهمة العليه والممدوح من جميع البريه سعادة حسن بك فهمي مدير المنوفيه حفظهم الله جميعاً على مدى الاجيال مصحوبين بالسعد والتوفيق والاقبال و بلوغ المقاصد والامال واذ قد عرفت الآن من ذكر الامراء والاعيان رأيت ان اذكر المرحوم المبرور اسماعيل صديق باشا المشهور لانني كنت وكيل دولته ورئيس دائرته ليبقى ذكره مخلداً جيلاً بعد جيل اذ له علي

فضل وجميل فاقول كان رحمه الله وجعل الجنة مأواه وزير المالية واحد بدور المملكة المصرية وديعاً كريماً اديباً فهيماً لطيفاً حليماً ذو رأي وتدبير وفي امور الدهر عليم وخبير يكرم الوافد ولا يصد قاصد وكان جناب صاحب هذا التاليف قد مدحه بقصيدة من الشعر النفيس الظريف فاستحسنها كل الاستحسان وغمره بجزيل الانعام والاحسان فاثبت بعضها لحسن معانيها وعذوبة الفاظها ورقة قوافيها واولها قوله

الدهر يزهو والهنا يتجدد

وفيها يهنئه بزفاف نجله البطل المهاب وليث الغاب فخر الادباء الانجاب المتحلي بحلل الكمال والآداب سعادة مصطفى باشا حفظه وصانه رب الارباب وزاد في عزه ومعاليه وجعله خليفة لابيه

مولاي اسماعيل يا من قوله ... بين البرايا نافذ ومؤيد
قد جاء عبدك قاصداً ومهنئاً ... يهدي فروض الواجبات ويحمد
بقران نجلك مصطفى المولى الذي ... هو بين ارباب المعارف مفرد
يا حسنها من فرحة واجله ... يوماً هو اليوم الاعز الاسعد
يوماً به شمس الضحى قد قارنت ... قمر الدجى فغدا السرور يغرد
يوماً به راق الزمان وزينت ... فيه الاهالي بر مصر وعيدوا
شهم تفرد بالمحاسن والبها ... والانس واللطف الذي لا يجحد
لازال محروس الجناب معظماً ... ومظللاً بسعادة لا تنفد

ويديم دولتكم على طول المدى ما لاح نجم في السما يتوقد

ومما قلت انا في مدح عائلته وفي سعادة احمد نشأت بك ابن اخي دولته مهنئاً حضرته العليه بولاية نظارة الدائرة السنية بلغه رب البريه السعادة الابديه

بشرى لكم يا آل صديق الورى قد نلتم رتب المعالي الفاخره
جائتكم العليا وسدتم مكرماً وعلوتم شرفاً بمصر القاهره
عاد الفخار لكم بنشأة عزكم لما رقى بنظارة للدائره

وسأختم الكلام في هذا الباب بالثناء على موءلف هذا الكتاب جناب الماجد الكامل عزتلو اسكندر بك الاديب الفاضل الذي صرف زمانه بتأليف الكتب والرسائل ولا سيما في هذا التأليف النفيس الظريف الذي طالعته واياه وعاونته على ما تضمنه وحواه فان له فيه الذكر الجميل والفضل الجزيل حيث اودعه من الوقائع الابراهيميه والمآثر الباهرة السنيه المتعلقة بالعائلة المحمديه العلويه في بر مصر واقطار سوريه ما كان محجوباً عن العيان ومتروكاً في زوايا النسيان فكشف عن وجهها النقاب وابانها في هذا الكتاب المستطاب باسلوب ارق من ماء السحاب يعش القلوب ويطرب الاذان وتصبو اليه النفوس جزاه الله خيراً ولا اراه مكروهاً ولا ضيراً فكم له من موءلفات مفيده ورسائل عديده وكنت قد وقفت على اكثرها فمن اجودها واشهرها كتاب روضة

الادب في طبقات شعراء العرب وكتاب نهاية الارب وكتاب نوادر الزمان في ملاحم جبل لبنان وكتاب منية النفس في اشعار عنتر عبس وكتاب التحفة الغراء في محاسن تونس الخضرأ وكتاب ريحانة الافكار في اخبار الملك شهريار وكتاب ديوان الدواوين في اجود اشعار المتقدمين والمتأخرين ضمنه مختارات الشعر من غزل ومدح ورثاء وحكم وفخر وكتاب كأس المدامه في تراكيب الدامه وهو كتاب غريب جمع فيه الف لعبه من انواع الالعاب والتراكيب ورتبها عَلَى اسلوب مدهش عجيب لم يسبقه عليه احد في هذا الوضع والترتيب وجعل لكشفها جدولاً ليهتدي اليها الطالب من قريب وكل من كان له ميل ورغبه او معرفة في اصول هذه اللعبه وله ايضاً ديوان شعر بين نظم ونثر وشعره في غاية الرقه والانسجام خالياً من الحشو والتكلف وتعقيد الكلام تكاد تفهمه عامة الانام وله في السجع اليد الطولى وقد تفرد فيه بهذا المقدار حتى انه صار يعد من ارباب الطبقة الاولى ومن كان في شك وارتياب من هذا الشرح والخطاب فعليه بمطالعة كتابه ريحانة الافكار في اخبار الملك شهريار الذي اشتهر بين الانام في هذا العام وقرظه فحول الشعرأ والعلماء الاعلام فيتضح له صدق الكلام ولا يخفى ذوي الالباب ما اودعه في هذا الكتاب من نفائس الحكم ونوادر الادب التي لا يجحد فضلها

الا كل معاند او عدو وحاسد ويكفيه انه قد حاز بالاستحقاق والاهلية
من دولتنا العليه وباقي الممالك الاجنبيه عَلَى عدة نياشين من رتب
سنيه مع لقب البكويه كثَّر الله من امثاله وبلغه آماله واطال
في عمره وزاد في عزه وقدره والحمد لله رب العالمين وصلى الله
عَلَى رسوله محمد الامين وعَلَى آله وصحبه اجمعين وسلم تسليماً الى
يوم الدين

خاتمة الكتاب

قال موءلفه هذا آخر ما اعتمدت عليه وامكنني الوصول بعد
الجهد اليه مما شاهدته بعياني وتلقنته عن افواه ابناء زماني من
الحوادث المصريه والفتوحات الشاميه المتعلقة بالمآثر الخديويه
وابراهيم باشا صاحب الهمة العليه ولا يخفى ما كابدته في نقل
اخبارها وجمعته من وقائع محاسنها بمعاونة جناب الهمام
الاوحد والحسام المهند الذي لا ينكر فضله ويجحد عزتلو
محمد افندي مكاوي الامجد فكانت كعروس ما مثلها عروس
وريحانة تنعش بها القلوب والنفوس وانا اسال
الاله الرحمن العفو والاحسان والمغفرة
والرضوان من السهو والنقصان
وعثرة اللسان انه كريم
منان

# فهرست التاريخ

صفحة

صفحة



